



طَلَقَتِ نَوْرًا

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي



العدد رقم (75) صدر في 1 أيار عام 2021 للميلاد

لماذا نصوت كقوميين عرب للرئيس بشار الأسد؟

نسرين عصام الصغير

طلقة تنوير 75: في جدلية الوطنية والعروبة والإسلام

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي... عدد 1
أيار 2021

- لماذا نصوت كقوميين عرب للرئيس بشار الأسد؟
نسرين عصام الصغير
- ميزان الوطنية والعروبة والإسلام في خطاب الرئيس الأسد/ إبراهيم علوش
- بين الأيديولوجيا والثورة والدولة والدين في المشروع القومي/ بشار شخاترة
- مفهوم القومية العربية لدى الشيخ محمد البشير الإبراهيمي/ إبراهيم حرشاوي
- الصفحة الثقافية: نازك الملائكة تكتب عن القومية العربية والحياة/ إعداد: طالب جميل
- كتاب "حول الخط الاستراتيجي العام لحركتنا وثورتنا"، ناجي علوش، 1974
- كتاب "حركة التحرير الشعبية العربية: البرنامج السياسي"، 1983
- قصيدة العدد: عيد البرية/ رشيد سليم الخوري في مدح النبي العربي
- تعليق سياسي: عن صاروخ سورية "الطانش"..
- ضرورات القوة/ كريمة الروبي
- رسم العدد: الصاروخ السوري قرب ديمونا، عصام حنفي

شهد الوطن العربي تجارب قومية عربية كثيرة، وكانت تقود تلك التجارب قيادات كشفت معدنها القومي المواقف الصعبة والمؤامرات التي تحاك ضدها مثل محمد علي باشا وإبراهيم باشا وغيرهم كثير، لكنني هنا سأخصص الحديث عن تجربتين قوميتين عربيتين متميزتين استطاعتا أن تجعل الشعب العربي يلتف حولهما، وهنا نقول الشعب العربي، أي الجماهير العادية الوطنية الوفية لقضايا الأمة، لا البعض المرتزق الممول، المنتظر للأوامر الخارجية لتنفيذها، ولا الأنظمة الفطرية بكل تأكيد.

سأبدأ بالرئيس جمال عبد الناصر الذي استطاع خلال ثمانية عشر عاماً أن يجعل ذكره خالدة بما أنجزه للوطن العربي في هذه الحقبة، نعم، لم تكن كلها سنواتٍ وريديّة، وقد كانت حافلة بالمؤامرات والحروب، لكن الرئيس عبد الناصر استطاع أن يجمع الشعب العربي من المحيط إلى الخليج إلى مشروعه القومي، وعندما قال لا صلح، لا اعتراف، لا تفاوض استمرت هذه المقولة قائمة إلى يومنا هذا، وعندما قال ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة، وضع لنا ثابت المقاومة حتى التحرير، وعندما قال معركةنا معركة وجود لا معركة حدود، فهذا نكون أو لا نكون، وعلى دربه ماضون.

مرت الحقبة الناصرية بكثير من الأزمات ولكن أكبر أزماتها كانت بعد حرب عام 1967، وعندما قدّم الرئيس عبد الناصر استقالته نزلت الجماهير في الشوارع من المحيط للخليج للمطالبة بعودة الزعيم لحكمه، انتصرت إرادة الشعب العربي لتكمل مسيرتنا للنصر، وفعلاً كان قراراً جماهيرياً حكيماً، وعاد الزعيم وبقي حتى أخذ الله أمانته، لا بل بقي بيننا حتى بعد أن أخذ الله أمانته.

بعد مرور أكثر من نصف قرن على رحيل جمال عبد الناصر، ما يزال الشعب العربي ينتظر قيادة قومية يلتف من حولها، وخصوصاً بعد الهزائم التي سجلت علينا، والتي خلفت خسائر أكبر بكثير من حرب عام 1967، وتحدث هنا عن اتفاقيات الاستسلام التي وقعتها بعض الأنظمة العربية ككامب ديفيد ووادي عربة وأوسلو، حتى من الله علينا بقائدٍ عظيم كنا نحلم به، شابٌ قوميٌّ عربيٌّ حكّم قطراً عربياً مركزياً اسمه الرئيس بشار الأسد، سرعان ما التفت القوميون العربيون من المحيط إلى الخليج من حوله، وفعلاً لم يتأخر الغرب والكيان الصهيوني في حياكة المؤامرات عليه حتى كثر العدو عن أنيابه في "الربيع العربي" الذي لم يكن إلا ربيعاً عبرياً، وقد كانت مؤامرة كبيرة وواضحة فعلاً لكن رغم وضوحها

لمتابعنا انظر:

لمتابعنا على فيسبوك، ابحث عن:
لائحة القومي العربي/ الصفحة الرسمية

روابط صديقة:

موقع الصوت العربي الحر
www.freearabvoice.org

راسلنا على:

arab.nationalist.moderator@gmail.com



لائحة القومي العربي

العدد رقم (75) صدر في 1 أيار عام 2021 للميلاد



إلا أن كثيراً من القوميين العرب انغش لفترة من الزمن في كذبة "الربيع العربي" لكن كان هناك نخبة بصيرتها بعيدة اكتشف المؤامرة من ليبيا قبل أن تنتقل إلى سورية (ابحث مثلاً عن مادة بعنوان "هل تريدون عراقاً آخر في ليبيا؟" نشرت في بداية آذار/ مارس 2011، وغيرها كثير على موقع "الصوت العربي الحر").

قامت هذه المؤامرة إذن باستهداف أكثر من قطر عربي، لكن التركيز هذه المرة كان على سورية شعباً وجيشاً وقيادة، وهو ما تحدثنا عنه في أعداد سابقة من مجلة "طاقة تنوير"، وقد كان فيها أيضاً أكثر من عددٍ مخصص لما يسمى "الربيع العربي"، وهنا يجب أن نؤكد على المؤامرة على القيادة حيث قامت الدول الغربية والكيان الصهيوني وأدواته في بث الفتنة وتلقيق التهم الباطلة للسيد الرئيس بشار الأسد وتم تجيش وسائل الإعلام العربية والأجنبية لهذا الهدف مع اختلاف الوسائل وتطويرها المستمر، لكن اليوم وبعد أكثر من عشر سنوات ما يزال شرفاء العرب يلتفون حول القائد القومي العربي الحكيم الصلب الذكي الصابر بشار الأسد.

لقد مرت سورية خلال السنوات العشر الأخيرة بكثيرٍ من الأحداث، فلم تكن المعركة سهلةً، لكن في نهاية كل معركة كان النصر حليف الجيش العربي السوري من القصير لدير الزور، وحمص وحلب وتدمر كلها شاهدة على هذا النصر، ورغم هذه الانتصارات إلا أن الغرب لم يكل ولم يمل في تطوير وسائله وأدواته وعلى رأسها الحركات الإسلامية والتكفيرية التي تجتذب عناوينها المسلمين من العرب وغير العرب، ولكن من أهم المعارك السياسية التي خاضتها سورية والشعب السوري خلال الحرب هي الاستحقاق الرئاسي عام 2014، ونحن اليوم على أعتاب استحقاقٍ رئاسي جديد بعد أقل من شهر، أي في 26 أيار 2021، وهنا يجب أن نؤكد على أنه لم يكن هناك من خيار للرئيس بشار الأسد سوى الترشح للرئاسة، وهو ليس بقرارٍ شخصي أو فردي بل قراراً جماهيري عربي، حيث أن مؤيدي الرئيس بشار الأسد ليسوا من الشعب العربي السوري وحده بل من جميع الأقطار العربية من المحيط إلى الخليج إلى المهاجر، وهذا ليس تعبيراً عن مشاعر قومية بل نابع من إيمان بشخص الرئيس الذي لم يخذل الجماهير العربية يوماً من الأيام، فهو لم يكن رجل خطابات ولا رجل كلام، بل رجل الأقوال والأفعال، فهو من لقن الغرب والكيان الصهيوني دروساً قاسيةً، لا سيما في معنى السيادة والقومية، ولا أدري من أين أبداً في عرض بعض تلك الدروس، لكن يمكن أن نخترها كإجابة على سؤال واحد هو: لماذا نريد السيد الرئيس بشار الأسد؟

وفي بعض الإجابة على مثل ذلك السؤال نذكر...

- الصمود الأسطوري للجيش العربي السوري بقيادة القائد العام للقوات المسلحة الرئيس بشار الأسد في وجه الحرب الكونية على سورية.
- الإدارة السياسية المحترفة لحرب الدفاع عن سورية، في مواجهة تحالفٍ دولي وإقليمي وتكفيري وليبرالي عابر للقارات، رسم صورة ميزان قوى غير متكافئ على الإطلاق ما جعل كثيرين يتوهمون أن الدولة السورية قاب قوسين أو أدنى من السقوط خلال أسابيع، وقد تجلت في عملية قلب ذلك الميزان براعة الأداء السياسي لعقلٍ استراتيجي مرهف يستند إلى أعصابٍ من فولاذٍ وقلبٍ من ذهب.
- الإحاطة الشاملة بمسرح عملياتٍ واسع وسائل ومتعدد الأبعاد، من السياسة إلى الاقتصاد إلى الإعلام إلى الميدان إلى وسائط التواصل الاجتماعي إلى القطاعات المختلفة في الدولة السورية، ومشاغلة العدو والتصدي له بالموارد المتاحة على قلبها وتضاءلها خلال الحرب، والتمكن من الإمساك بالمفاصل المركزية للصراع ولو بعد حين.
- دعم القومية العربية على كافة الأصعدة، والدفاع عن عروبة سورية بالرغم من طعنات الأنظمة وبعض "القوميين" المزعومين، فعندما نستمتع إليه نشعر بنشوة القومية مما يعيد لنا الروح، فنحن كأمة من دون القومية العربية جسداً بلا روح.



العدد رقم (75) صدر في 1 أيار عام 2021 للميلاد

- دعم المقاومة الفلسطينية والعراقية واللبنانية، والتمسك بخيار المقاومة، وإعطاء فرصة لمحور المقاومة لقلب ميزان القوى إقليمياً.
- جعل سورية دولةً مكتفيةً ذاتياً لا تحمل قلقاً اقتصادياً قبل الحرب، ما جعلها دولة ذات سيادة لا تحتاج لأي دعم مادي مقابل قرار سياسي، وهو أحد أهم أسباب الحرب على سورية.
- التطور العسكري الذي جعل من سورية رأس حربة في المعركة الحقيقية الكبيرة في وجه الكيان الصهيوني.
- القدرة على توحيد الشعب العربي السوري باختلاف طوائفه، إذ حاول الغرب اللعب على هذا الوتر في الحرب على سورية، ولكن بحكمة الرئيس بشار الأسد استطاع أن يقلب السحر على الساحر وأن يوحد كل شرفاء سورية على حب أرض الوطن.
- وأخيراً وليس آخراً، في زمن الانحطاط والركوع هذا، لم نجد إلا رئيساً عربياً واحداً قصف الكيان الصهيوني في عمق الأراضي الفلسطينية المحتلة هو السيد الرئيس بشار الأسد.
- وبعد كل هذا أعتقد أنه لو قيض للشعب العربي أن يشارك في انتخاب الرئيس بشار الأسد لن يتأخر في هذا الواجب، لكن ليس بإمكاننا في ظل هذه التجزئة اللعينة إلا أن ندعم الرئيس الذي نحب من أقطارنا، الرئيس الذي نشعر معه بالأمن ونسير معه خطوةً من خطوات الألف ميل لتحقيق الحلم الكبير، حلم الوحدة والتحرير والنهضة، فالرئيس بشار الأسد قدم الكثير للحفاظ على كرامتنا وثبات موقفنا، ونحن من جهتنا لن ننوانى عن تقديم الدعم الكبير الذي يستحقه وأكثر، فكل الدعم للقائد القومي بشار الأسد أيها العروبيون.

ميزان الوطنية والعروبة والإسلام في خطاب الرئيس الأسد

إبراهيم علوش

قال الرئيس بشار الأسد في لقائه مع العلماء ورجال الدين في 24/8/2011: "كل المجتمع العربي بتركيبته التاريخية يعيش على قاعدتين كبيرتين هما العروبة والإسلام، وأية قواعد أخرى صغيرة هي قواعد داعمة لا يهم ماذا تسمى، سواء كانت سياسية اجتماعية أم حتى دينية أصغر.. والتوازن في هذا المجتمع يستند إلى التوازن بين العروبة والإسلام".

عاد سيادته إلى زيارة هذه النقطة في كلمته على مدرج جامعة دمشق في 10/1/2012 قائلاً: "إن وطننا العربي بتنوعه الواسع يرتكز بينيته الاجتماعية على دعامتين قويتين متكاملتين بأبعادهما الحضارية هما العروبة والإسلام.. وكلتاها عظيمةٌ وغنيٌّ وضروري.. ولا يمكن بالتالي أن نحملها وزر الممارسات البشرية الخاطئة كما أن التنوع الإسلامي والمسيحي في بلادنا هو داعمة عروبتنا وأساس قوتنا".

لم ينكر الرئيس الأسد أبداً إذاً وجود قواعد أخرى في المجتمع العربي إلى جانب العروبة والإسلام، إنما شخّص العروبة والإسلام بصفتيها الدعامتين الأكبر، ومثل هذا التشخيص لا ينكر وجود دعائم أخرى عقائدية أو دينية كما سنرى، كما أنه تشخيصٌ موضوعيٌّ، لا تشخيصٌ رغائبيٌّ، أي أنه يقول إن هذا هو الواقع الاجتماعي-السياسي العربي كما هو، ونسوق ما قاله الرئيس الأسد حول هاتين الدعامتين منذ عشر سنوات لمن زعم بعد خطاب سيادته في جامع العثمان في 7/12/2020 أن سيادته ينحو باتجاه "أسلمة المجتمع السوري" أو "الانقلاب على الهوية الوطنية السورية" إلخ...، فرؤية الرئيس الأسد على هذا الصعيد ليست مستحدثة، كما أنها رؤية منسجمة تماماً مع الهوية الوطنية السورية، لأنها تطرح العروبة والإسلام في سياق التعددية والتنوع، لا في سياق أحادي منغلِق على ذاته، على العكس تماماً، لا تناقض بين حقيقة بروز دعامتي العروبة والإسلام في المجتمع العربي، لا السوري فحسب، كأبرز معلمين له كمجتمع، وبين مفهوم المواطنة القائمة على أساس تساوي الحقوق والواجبات، ولكن لكي ينسجم المفهومان، لا بد من تحديد نوع العروبة ونوع الإسلام اللذين نتحدث عنهما بالضبط، فهما العروبة الحضارية من جهة، والإسلام العربي المتطور العقلاني من جهةٍ أخرى، وإلا فإن العروبة والإسلام ذاتهما لا ينسجمان.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (75) صدر في 1 أيار عام 2021 للميلاد

العروة الوثقى بين العروبة والإسلام:

وكان الرئيس الأسد قد عقد الصلة بين العروبة والإسلام في لقائه مع العلماء ورجال الدين في 28/8/2011 على الشكل التالي: "العروبة والإسلام هما صنوان لا يفترقان، ولو بدأنا من الرسول نفسه الذي كان يتباهى بعروبتة، وأنا أقول لا يمكن أن نفصل عروبة الرسول عن إسلامه، والدليل أنه كان يتباهى بها، ولا يمكن أن نفصل اللغة في القرآن عن مضمون القرآن".

المجتمع العربي يقوم على قاعدتين كبيرتين هما العروبة والإسلام إذًا، وهاتان القاعدتان تتعكسان في شخص الرسول (ص)، كما تتعكسان في هوية المجتمع العربي التي لا بد من أن يعكسها أي دستور: "أنا أؤكد على أن العلاقة بين العروبة والإسلام هي علاقة اجتماعية، طبيعية، تاريخية، ولا بد للدستور من أن يعكس طبيعة المجتمع، ولا يمكن أن تأتي بدستور لا يشكل مرآة للمواطنين أو يناقض السياق التاريخي وتركيبية المجتمع الطبيعية الموجودة في سورية" (العلماء ورجال الدين في 24/8/2011).

أما بالنسبة للعلاقة مع الغرب، فقد قال الرئيس الأسد، مرسخاً الهوية العربية-الإسلامية: "إذا كان الغرب يكرهنا فهو لا يستطيع إلا أن يحترمنا، هذه هي النقطة الأهم، نحن لا نبحث عن المحبة، نبحث عن الاحترام، وكلما طوّرتنا وكلما أثبتنا الوطنية، وكلما تمسكنا بقوميتنا وبإسلامنا وديننا، سيكون هناك المزيد من الاحترام" (العلماء ورجال الدين في 24/8/2011).

وفي الحديث عن "الفكر الظلامي الذي أسس له الوهابيون.. وسيّسه الإخوانيون"، قال الرئيس الأسد إن هذا الفكر هو أول من دق الإسفين بين العروبة والإسلام في الوقت الذي جمع بينهما القرآن والرسول الكريم، وإن أولئك هم من دق ثاني إسفين بين المسلم والمسلم، وثالث إسفين بين المسلم والمسيحي عبر طروحات طائفية بغیضة مقبنة فتانة في الوقت الذي حرّمت الأديان السماوية كلها الفتنة بين الناس: "هذا الفكر هو الذي نقل الصراع من عربي-إسرائيلي إلى عربي-عربي، وإن أولئك قاموا بالاعتداء على رموز العروبة ومقاومة الاستعمار وضربهم والوقوف في وجههم، وهاجموا الجيوش العربية، كما يحصل الآن في سورية ومصر، وتعاونوا مع جيش العدو الإسرائيلي، وناقضوا إسرائيل وتذلّلوا لأمريكا فقط من أجل الحصول على الكرسي" (من كلمة سيادته خلال تناول طعام الإفطار مع فعاليات المجتمع السوري 4/8/2013)، وحديث سيادته يستند طبعاً إلى تاريخ جماعات الإسلام السياسي والرجعية العربية منذ الخمسينيات والستينيات في كل المنطقة.

وفي لقائه مع العلماء ورجال الدين في 23/4/2014، تساءل الرئيس الأسد: "ما هي العقائد التي تحكم الساحة العربية-الإسلامية التي نعيش فيها؟"، ثم أجاب: "هناك عقائد كثيرة. هناك شيوعية ومسيحية وقومية سورية وليبرالية وتيارات مختلفة، لكن القاعدتين الأساسيتين في الساحة العربية هما العروبة والإسلام. بالنسبة للغرب، إذا ضُرب هاتين العقيدتين تكون الأمور مفتوحة له للدخول والسيطرة على هذه المجتمعات. بدأوا في العشرينيات مع الإخوان المسلمين، بحزب يدعو للدين، هو حزب دعوي حسب ما طرح نفسه"، ثم تابع سيادته أن هؤلاء "جذبوا جزءاً من الشارع العربي، الذي كان يشعر لاشعورياً بالانتماء للعروبة والإسلام بنفس الوقت. شعر هذا المسلم فجأة أنه ينتمي إلى هذه الشريحة السياسية الدينية وهو لا يعرف أنها سياسية، والآخرين شعروا أنهم ينتمون إلى التيار القومي".



يطرح الرئيس الأسد هنا مفهوم "العروبة الحضارية" التي تقوم على الانتماء اللغوي والثقافي والجغرافي لا على الانتماء العرقي (والتي تم تناولها من قبل في مادة "ما هي العروبة الحضارية؟" لكاتب هذه السطور)، لكن الرئيس الأسد أضاف أن العروبة جرى ضربها أساساً من خلال الحروب، مثل "حرب فلسطين وحرب عام 1956 على مصر وحرب 67 وحرب 1982"، أي تم ضربها من الخارج، "أما الإسلام فلم يكن من الممكن ضربه بهذه الطريقة، فانتقلوا إلى طريقة تشبه طريقة الفيروس... واستخدموا شيئين: الطائفية والتطرف، وكلف في البداية بهذا الموضوع آل سعود، وبعد الثورة الإيرانية طُلب من آل سعود أن يتصدوا لتأثيرها "تحت عنوان حماية السنة في العالم الإسلامي من المد الشيوعي"، ولكن ما مدى مصداقية مثل هذا الموقف فعلياً؟ لا سيما أن السعودية كانت "الحليف الأوثق والعضوي لشاه إيران الشيوعي"، وأن آل سعود هم من وقف بوجه عبد الناصر السني المؤمن الذي لم يكن يفصل بين العروبة والإسلام أيضاً.

المهم، "وصل الجيل الإسلامي مع سيطرة الإعلام الوهابي على المحطات الإعلامية، خاصة مع ظهور الفضائيات، وأصبحنا أمام حالتين: إما إعلام يأخذني باتجاه القيم الغربية كاملة"، وبدأ الشباب "يأخذون كل هذه المفاهيم من هذه الألفية العربية ذات الخلفية الوهابية، فأصبح يفكر بشكل غربي تماماً، وأصبح منسلخاً بشكل كلي عن لغته، وعاداته وتقاليده، حتى داخل المنزل.. أما الجزء الآخر من الإعلام المتطرف. فأصبح هذا الجيل أمام حالتين، إما أن يذهب باتجاه التطرف أو باتجاه التغرب، وهنا يبدأ انفصام الشخصية في العروبة ما بين العروبة والإسلام.. عندما يحصل انفصال بين العروبة والإسلام، فمعناه أن هناك عدم استقرار في المجتمع، عدم استقرار نفسي وعدم استقرار اجتماعي، وبالتالي عدم استقرار من الناحية الأمنية" (العلماء ورجال الدين 23/4/2014)، وهذه نقطة مهمة جداً يمكن تناولها أيضاً من زاوية ثنائية التطرف والتغريب في العقل العربي المعاصر، لكنها تأتي هنا في سياق الحديث عن السعي لضرب العلاقة بين العروبة والإسلام، كما أن حديث السيد الرئيس عن التغريب لا يمكن فصله عن نقده اللاذع للبيرالية الجديدة، لا سيما في بعدها الثقافي، في كلمته في جامع العثمان في 7/12/2020.

يتابع سيادته: "كيف يمكن الفصل ما بين العروبة والإسلام؟ كيف يمكن الفصل ما بين عروبة الرسول وإسلام الرسول؟... بأي منطقتي فصل بين مضمون القرآن الإسلامي ولغته العربية؟ هذا مستحيل. هل يمكن أن نفرق ما بين اللغة والثقافة؟"، إذاً، يصر الرئيس الأسد: "لا يمكن الفصل بين فكرة العروبة وفكرة الإسلام، هم تمكنوا من القيام بذلك عبر عقود وأصبح هناك شارعان منفصلان، شارع للإسلاميين، يمثلهم رجال الدين والمؤمنون ومن معهم.. هكذا كان الواقع، وشارع للقوميين، وهو شارع علماني، وهو شارع ضد الدين.. وهذا رأينا بشكل واضح في الستينيات والسبعينيات. كنا نعانى من انفصام في الشخصية أوصلنا إلى ما نحن عليه اليوم كأمة إسلامية. لذلك، وفي الحديث عن عروبة القرآن، عندما نقول بأن القرآن حافظ على اللغة العربية هو كلام غير دقيق، القرآن حافظ على العروبة بحد ذاتها كمفهوم، ولا يجوز أن نختصر القرآن بحفظه على اللغة العربية وكأنه مجرد كتاب لغة عربية. هو أكبر من ذلك بكثير" (العلماء ورجال الدين 23/4/2014)، لا بل يمكن أن نضيف أن القرآن هو وثيقة قومية عربية بامتياز (انظر مادة "العربية والعروبة في القرآن الكريم" لكاتب هذه السطور).

وفي حديثه عن الغرب وأهدافه في العدوان على سورية، قال الرئيس الأسد إن الغرب هو "الأكثر فرحاً بسلبات أي مجتمع عربي لبيقوه متخلفاً تابعاً منقاداً لهم.. وما خير دليل على ذلك إلا تحالفاتهم مع أكثر دول المنطقة تخلفاً وفساداً وقمعاً لتسعوبها.. لم يستهدفوا الثغرات والسلبات لدينا.. لقد استهدفوا في الحقيقة الحالة الوطنية السيادية.. استهدفوا الهوية الوطنية والانتماء العروبي.. استهدفوا الإسلام الصحيح والمسيحية الأصيلة.. استهدفوا التجانس الفريد في مجتمعنا.. استهدفوا كل ما ميز سورية عبر تاريخها" (كلمة أداء القسم لولاية دستورية جديدة 16/7/2014).

ما يهمننا من هذا المقطع هو مدى انسجام ثلاثة أبعاد للهوية في فكر الرئيس الأسد، وفي الواقع السوري قبل أن تلوثه تيارات التطرف والتكفير والاختراق الخارجية، وهذه الأبعاد الثلاثة هي: (1) الهوية الوطنية السورية، (2) الانتماء العروبي، (3) البعد الإسلامي. فالهوية الوطنية السورية هي مظلة كل السوريين من كافة الطوائف والمناطق والأعراق والعائلات، وهي جزء لا يتجزأ من الهوية العربية، لا نقيض لها أو بديل عنها. والانتماء العروبي مظلة أوسع على مستوى الوطن العربي، بحدوده الجغرافية واللغوية والثقافية والتاريخية، التي تميزه عن بقية الأمم، وهو القاسم المشترك الأعمق بين المسلمين والمسيحيين، وبين المتدينين وغير المتدينين، وبين المواطنين العرب والمتعربين بغض النظر عن أصلهم العرقي،



لائحة القومي العربي

العدد رقم (75) صدر في 1 أيار عام 2021 للميلاد

العلاقة بين العروبة والإسلام

والهوية القومية العربية ذات بعد سياسي-اجتماعي، لا شك في أن الإسلام بفكره وتاريخه العظيم شكّل مدخلاً أساسياً في تشكيلها ثقافياً. أما الهوية الإسلامية فهي الهوية الدينية، وهي هوية ثقافية لا تقصي غير المسلمين، ولا تقصي غير المتدينين، كما كانت عبر كل تاريخها، ما دامت بعيدة عن الأجندات السياسية الهادفة للوصول للسلطة، وما دام فهم الدين عقلاً متطوراً لا يتناقض فهمه مع حقيقة الوجود القومي والكيانات الوطنية إلا في أذهان جماعة الإسلام السياسي والتكفيريين.

فلنتخيل سورية بأنها اسمك الأول، والعروبة بأنها اسم عائلتك الصغيرة المباشرة، أبوك وأمك وإخوانك وأخواتك وأبنائك وبناتك، وبأن الهوية الثقافية الإسلامية هي المشترك مع بنات وأبناء عمك وعماتك وأخواتك، وللجيرة حق لا ننكره، وللشعر أجمعين، فنحن أيضاً أمميون، ولا تتناقض بين هذه الأسماء كلها، بل انسجاماً وتكاملاً، وهي أبعاد متكاملة للهوية لا يضعها في مواجهة بعضها البعض إلا من كان مدفوعاً بجهل أو بأجندة خاصة.

لكن اللحظة التاريخية الراهنة قد تجعل بؤرة التركيز على حلقة من هذه حلقات هويتنا المتعددة الأبعاد أكثر من غيرها

إذا تعرضت لخطر أو تحدٍ مصيري ما، واللحظة التاريخية الراهنة، في العقدين الثاني والثالث من القرن الواحد والعشرين، جعلت الخطر محققاً بسورية، فلا بد أن تبرز إذا الهوية الوطنية السورية إلى الواجهة، وهذا لا يخسف الأبعاد الأخرى بتاتاً، إذ أن الخطر الوجودي الذي يهدد سورية هو جزء لا يتجزأ من التحدي المصيري الذي تواجهه الأمة العربية ككل، فلا يمكن إغفال ذلك، كما لا يمكن إغفال ضرورة تحرير الإسلام مما علق بتأويله وتفسيره وتطبيقه من تأثيرات رجعية وطائفية قابلة للتوظيف سياسياً من قبل الغرب ضد الهوية الوطنية والقومية للأمم والشعوب المستقلة، حتى غير المسلمة بأغليبتها، مثل روسيا والصين، وبالتالي لا يمكن إغفال تأثير التوظيف السياسي للإسلام على الدول العربية المركزية من العراق للمغرب، مروراً بسورية قلب العروبة النابض.

وفي كلمته في الملتقى العربي لمواجهة الحلف الأمريكي-الصهيوني-الرجعي في 14/11/2017 أشار سيادته إلى أن شرائح من مجتمعاتنا العربية، عندما ضعفت انتماءها القومي، "ذهبت باتجاهين رئيسيين في بدء الأحداث: إما الارتداء بأحضان الأجنبي، بغض النظر عن أي أجنبي كان، أو الارتداء بأحضان التطرف الإسلامي باعتباره هوية بديلة عن الهوية العربية، طبعاً هي مجرد هوية شاذة ومنحرفة لا علاقة لها بالإسلام ولا بأي دين سماوي".

أضاف سيادته في الكلمة ذاتها: "أول مشكلة كبيرة نواجهها على مستوى العمل القومي هي ضرب علاقة الإسلام مع العروبة.. اتهموا أو وصموا العروبة بصفة العلمانية، ووصفوا العلمانية بصفة الإلحاد، فربطوا بين العروبة والعلمانية والإلحاد برابط واحد.. وقالوا للمواطن البسيط: عليك أن تختار بين الإيمان وبين الإلحاد، فمن الطبيعي أن يختار الإيمان، ويكون بالمقابل ضد أي انتماء آخر في مواجهة أو مقابل الإيمان والإسلام، وبالتالي العروبة جزء من هذا الانتماء الذي ابتعد عنه وانسلخ عنه بفعل هذا الفكر أو هذا التسويق الخاطيء لعلاقة العروبة والإسلام". وتابع سيادته: "هناك ارتباط عضوي بين العروبة والإسلام.. هناك تقاطع، ليس بالضرورة تطابقاً، هناك هامش لكل منهما، ولكن لا يوجد تعارض بكل تأكيد، ومن الخطأ أن يفكر الكثيرون بأنه إما أن أكون عربياً أو أن أكون مسلماً، لذلك ضرب هذه العلاقة من خلال تطرف الإسلام يؤدي لضرب العروبة، حرّفوا الإسلام.. دفعوه باتجاه التطرف.. انفصل عن العروبة، فضعف الإسلام، وضعفت العروبة".

باختصار، بمقدار ما تشكل الثقافة، إلى جانب اللغة والجغرافيا والتاريخ والمصالح المشتركة، أحد مكونات الأمة، فإن الإسلام شكّل مكوناً رئيسياً في ثقافتنا ولغتنا وتاريخنا كعرب، وبمقدار ما لا يمكن فصل عروبة القرآن والرسول عن الإسلام، فإن الإسلام عربي المنشأ واللغة والرسول، ولو أنه رسالة للعالمين، وبمقدار ما تمتد العروبة ويمتد الإسلام في بلدان وأمصار، فإن المواطنة تجمعنا على قدم المساواة مع من يشاطروننا تلك البلدان والأمصار من غير العرب أو من غير المسلمين، أو هكذا يفترض.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (75) صدر في 1 أيار عام 2021 للميلاد

حول العلاقة بين العلمانية والتدين:

قال الرئيس الأسد في افتتاح مركز الشام الإسلامي الدولي في 20/5/2019: "لا يوجد علاقة بين العلمانية والتدين، ولا يوجد علاقة بين العلمانية والإلحاد. الإنسان يكون مؤمناً أو ملحداً لأن الإيمان والإلحاد مرتبطان بالعقيدة، أن أو من بهذه العقيدة أو أن لا أو من بهذه العقيدة أو بتلك العقيدة، أما العلمانية فهي ممارسة. لا يوجد عقيدة علمانية، لا يوجد علاقة بين العلمانية وبين التدين لا سلباً ولا إيجاباً، وهذه العلاقة التي يضعها البعض، سواءً من المتدينين أم من غير المتدينين، هي حوارٌ خاطئٌ أن يقال هذا ملحد وهذا علماني، هذا متدين وهذا علماني، هذا خطأ. كأن أقول بأن الموجودين معنا في هذه القاعة نصفهم يمتلك بيتاً، والنصف الآخر يحمل شهادةً في الشريعة.. ما العلاقة بين الأولى وبين الثانية؟ ستقولون ما هذا الكلام غير المنطقي؟ نفس الشيء، لا يوجد علاقة، العلمانية هي ممارسة".



تابع سيادته: "نحن في الدولة عندما يأتينا شخصٌ، أي شخص من بينكم، للقيام بمعاملة، بيع، شراء، تسجيل، لا نسأله ما هو دينه ولا طائفته ولا علاقته لنا بهذا الموضوع، وهذا طبيعي بالنسبة لكم ولنا. أنتم عندما ترون إنساناً محتاجاً في الطريق تقومون بمساعدته، فهل تساعدونه لأنه مسلمٌ فقط؟ إذا كان غير مسلم تقولون له اذهب إلى الجحيم؟ هذا مناقضٌ للإسلام.. هذه هي العلمانية، وهذا ما نريده، هي الممارسة".

يضرب السيد الرئيس هنا مثال قانون الأحوال الشخصية الذي يستند بشكل مباشر إلى الدين، والذي يعطي الحرية للطوائف لكي تقرر ما يناسبها في هذه القضايا، وهو ما يعني أنه قانونٌ علمانيٌ بالمحصلة، لأنه يترك خياراتٍ ولا يفرض نمطاً دينياً واحداً على الجميع، فالعلمانية بحسب هذا التعريف ليست عداءً للدين، إنما هي احترام حرية الاختيار، وهذه النقطة كثيراً ما تغيب عن المتدينين وعن العلمانيين، فهذه علمانية تستند إلى مفهوم المواطنة، أي أن هدفها الرئيسي هو تجاوز الحس الطائفي والعنصري والجهوي، وبالتالي فإنها تختلف تماماً عن المفهوم العلماني التعريبي الذي يضع نفسه في مواجهة الوطن والعروبة والإسلام، كما نرى في المغرب العربي على سبيل المثال.

أما مزاعم أن الدولة السورية ضد الدين، فقد رد عليها الرئيس الأسد بالوقائع والأرقام متسائلاً: "من أنزل الدعوة النسائية إلى المساجد؟ من أطلق الفتاة الدينية الأولى (نور الشام)؟ من أسس (معهد الشام للعلوم الشرعية)؟ ماذا عن المعاهد الشرعية والمعاهد الدينية والمتوسطة والمدارس؟ ماذا عن الدروس؟... أكثر حرية دينية موجودة هي في سورية، هذه حقائق، لا بد أن ندافع عن بلدنا بهذه النقاط، عدد المساجد، معلومة جديدة.. بأنه من الدولة الأموية حتى عام 1970، كان عدد المساجد في دمشق حوالي 4000 مسجد، ومنذ عام 1970 حتى اليوم بُني 7000 مسجد"، وأضاف سيادته أن المقارنة قد لا تكون عادلة إذ ربما وقعت زلازل، كما أن عدد السكان ازداد بمقادير مضاعفة، "لكن لو أردنا أن نقول بأن هناك عقبة أو دولة ضد الدين، عندها لا يمكن للدولة أن تسمح بسبعة آلاف مسجد في سورية خلال أربعة عقود من الزمن، فأنا أرى أحياناً بأن ما يحبط أن البعض من رجال الدين لا يدافع عن بلده" (من اللقاء مع العلماء ورجال الدين 24/8/2011).

وقد أشار سيادته في اللقاء ذاته، إلى موقع الإسلام في الدستور، إذ أن الإسلام هو دين رئيس الجمهورية، والفقهاء الإسلاميين مصدرٌ رئيسي للتشريع (وقد بقيت هاتان النقطتان في دستور عام 2012 كما هما تماماً، إنما أضيفت بنود في المادة الثالثة التي تحتويهما تتعلق باحترام الأديان وكفالة حقها بممارسة شعائرها وصيانة الأحوال الشخصية للطوائف الدينية).



لائحة القومي العربي

العدد رقم (75) صدر في 1 أيار عام 2021 للميلاد

إذاً الدولة ليست ضد الدين، إنما ضد الإرهاب والتطرف والتكفير. والرئيس الأسد داعية إصلاح ديني، كما هو داعية إصلاح سياسي وإداري، ولا مفر من إعادة تأسيس الوعي الديني على مرجعيات عربية ومنتورة وعقلانية، تماماً كما حاول أجدادنا العرب أن يفعلوا في العصر العباسي، قبل أن يؤدي الحكم السلجوقي بمحاولاتهم، إنما البعض لا يدرك الفرق للأسف ما بين الإصلاح الديني من جهة، و"أسلمة المجتمع" من جهة أخرى.

طرح مصطلح "الإسلام العربي" في مواجهة مصطلح "الإسلام السياسي":

لعب "الإسلام السياسي" دوراً كبيراً في تأويل الدين طائفياً، وتحويله للانتماء للإسلام إلى مسارب طائفية، "فأصبحت الطائفية هي المعيار، وحلت محل الدين، وحلت محل الوطنية. وهذا جزء من المفاهيم، أي أننا إذا لم نقم باسترداد الإسلام إلى موقعه الطبيعي لغوياً وثقافياً وعقائدياً، ومن خلال المصطلحات، سنكون خلال فترة ليس أمام الإسلام العربي الذي أنزل على الرسول قبل أربعة عشر قرناً، بل سنكون أمام إسلام إما عثماني أو قطري أو إسلام أمريكي، وكله واحد. فإذا هنا يأتي دورنا في استرداد هذا الإسلام من خلال رؤية هذه التحديات" (لقاء العلماء ورجال الدين 23/4/2014). هنا يقولها السيد الرئيس بوضوح: نحن معنيون باسترداد الإسلام إلى حالته العروبية التنويرية من خلال المصطلحات، والفرق أن مصطلحاتنا تستند لعروبة الإسلام اللغوية والثقافية والجغرافية، أي إلى أصله، وفي الآن عينه تستند لرؤية تنويرية تطويرية تواكب العصر وتواجه الردة الطائفية والتطرف الدموي.

لنلاحظ كيف يتناول السيد الرئيس العلاقة بين العروبة والإسلام اصطلاحاً من خلال الآية الكريمة: (إننا أنزلناه قرآناً عربياً)، وهي ملاحظة لافتة وثاقبة من لدنه.. يقول الرئيس الأسد: "المسألة واضحة، لسنا بحاجة للآية كي نعرف أنه عربي، نحن نتحدث لغة عربية، العالم كله يعرف بأن لغته عربية، ولكن للتأكيد على هذا الشيء هناك ربط واضح بين العروبة والإسلام" (الملتقى العربي لمواجهة الحلف الأمريكي-الصهيوني الرجعي 14/11/2017).

بالفعل، لنفكر ملياً: لماذا تذكر آيات عدة، لا هذه الآية فحسب، أن القرآن عربي، مع أن ذلك واضح لكل من يعرف اللغة العربية؟ هذه الحلقة المفصلية، الربط الاصطلاحي بين القرآن وعروبه، وتكراراً، هي التي التقطها السيد الرئيس وأبرزها في كلمته في ملاحظة ثاقبة، ليثبت مصطلح "الإسلام العربي"، وليربط بين العروبة والإسلام قرانياً، ولا رابط أقوى من تلك العروة الوثقى، وهذه ليست ملاحظة شكلية، لأنها تثبت عروبة الإسلام، وتُسقط أي محاولة لتوظيف الإسلام ضد القومية العربية، وضد البعث تحديداً.

بين الأيديولوجيا والثورة والدولة والدين في المشروع القومي

بشار شخاترة

عندما عصف مشروع الفوضى الخلاقة الأمريكي بالوطن العربي وجدت الجماهير التي خرجت إلى الشوارع نفسها أمام مفاجأة من نحن؟ وماذا نريد؟ وما هي أهداف (الثورة) الربيعية في كل قطر؟

لا نشك - وقد عايشنا هذه المرحلة التي ما تزال مستمرة حتى الآن - أنها مرتبكة وعفوية في عمومها على المستوى الشعبي، لكنها في ذات الوقت كانت موجهة بشكل خفي وذكي لعب فيها الإعلام الدور الأهم في رفع منسوبها هنا وخفضه هناك، ولا يفوتنا أيضاً أن السلطات في البلاد العربية كانت مأخوذة ومتفاجئة وأشد ارتباكاً من مواطنيها، وهذا لأننا أمام مجتمع غير المجتمع الذي تألفه أجهزة الأمن، وحتى الذي تألفه نحن المواطنين، هناك مجتمع تشكل عبر العوالم الافتراضية صحيح أنه ابن الواقع لكن قوانينه تختلف ومستوى الجراءة فيه أكبر، والشعور بالأطمئنان لهذا العالم الافتراضي وخصوصاً أن الأفراد يجلسون خلف الشاشات في منازلهم بالرغم من قوانين ملاحقة ما يسمى الجرائم الإلكترونية، ومع هذا بقي هناك هامشاً واسعاً من الحرية لدى الجمهور الاجتماعي الجديد ومجالاً حيوياً للتعبير أو بعبارة أدق التنفيس، وهذا كانت تسمعه الأجهزة وتبصره ولكنها لم تدرك أنه يتحول إلى (ثورة) بمعناها الذي شاع لدى العامة، بالطبع كان للإعلام الفضائي عبر قنوات حازت على المصداقية والمقبولية لدى الجماهير عبر ما يزيد عن العقد من الزمن أثرٌ حاسمٌ زاد حركة الجماهير الساخطة على كل شيء وقوداً ودافعية.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (75) صدر في 1 أيار عام 2021 للميلاد



ايدولوجيا

هذا المجتمع الافتراضي الذي وجد نفسه في الشارع نقل معه تفاصيله الافتراضية، والتي هي حقيقية بالأساس لكنها كانت مكبوتة خلف لوحات مفاتيح الهواتف والحواسيب، وكانت عبارة عن عدد هائل من المشاكل الفردية والمواقف الساخطة وعدد كبير من المواقف الحاقدة، وجميعها إذا نظرنا إليها وجدناها تمثل تناقضات ومشاكل ومظلوميات تستند إلى قضايا وطنية لها تأصيل اقتصادي واجتماعي وسياسي وهنا نتكلم من وجهة نظر قومية عربية، وبالتالي لم يكن حاصل جمع الملايين من الحناجر التي تهتف بوجعها لينتج شيئاً ثورياً بالمعنى الحقيقي للثورة، وهذا مرده ليس لعيب في تلك الجماهير ولكن العيب في وعي الجماهير لحقيقة وجوه معاناتها، وبالتالي فإن ثورات الفيس بوك والتويتر وإعلام البترودولار حتماً لن ينتج ثورة ضمن القواعد الحاكمة لهذا العالم الافتراضي.

لم تولد الثورة برغم الزخم البشري غير المسبوق في واقع الحركات الشعبية العربية منذ الاستقلال، وهذا ليس لأننا نريد تفصيل الثورة على مقاسنا، وليس لأننا نمثلك قلوب ثورية أو خطوات عمل محددة للقيام بثورة، ولكن

لأن الجماهير التي نفذت حركتها كانت تبتدع نموذجاً جديداً في رسم ملامح الثورة الليبرالية المعولمة والتي تمثل في حقيقتها ملايين الثورات بعدد من خرج بها من الأشخاص، فكل ثورة، فكل يغني على ثورته وأنا على ثورتي أغني... هذا حال هذه الجماهير، هذا النموذج المعولم لمفهوم الثورة وتطبيقاتها كان نتاج هيمنة الإمبريالية العالمية بقيادتها الأمريكية، فلا غرابة من أن تخلق احتجاجات شعبية عنيفة قادرة على إسقاط أنظمة سياسية قوية بزخم بشري ضخم لكنه زخم أفراد يفقدون إلى العقد الذي يجمعهم على فهم سبب نزولهم للشارع وكيف يجتريون الحلول لواقعهم، لقد خلقت آلة الإعلام الرقمي - سواء الافتراضي من خلال مواقع التواصل الاجتماعي أو من خلال الإعلام الفضائي والرقمي الذي أسقط الحدود وأسقط الخصوصيات جميعاً - مجتمعات منزوعة الدسم حيث بشر مفكروها بنهاية التاريخ ونهاية الأيديولوجيا والحمية المائلة أمام البشرية هي حتمية انتصار رأس المال ومنهجه الليبرالي في طبيعته التسونامية، حيث أعلنت عن نفسها بأن من لا يجد له مكاناً في مركبها الجديد، ومن لا يلتزم بقواعد الصعود في قطارها لن يكون له مكان في هذا العالم، وأنه منذ ذلك التاريخ الذي بشر به فوكوياما أصبحت قوانين الليبرالية الجديدة هي التي تفرض ذاتها، وفي تضليل واضح، وبمحتوى أيديولوجي وفكري بشرنا فيه فوكوياما ورأسماليته بنهاية الأيديولوجيا وأن التاريخ وصل خاتمته بفصل الرأسمالية وتكريس هذا الفصل كمنهج حياة للعالم، وهذا الطرح بحد ذاته يحتوي مضامين أيديولوجية عميقة لا تتفق مع ما يبشر به فوكوياما من نهاية عصر الأيديولوجيا، ولكنها حتمية رأس المال مقابل حتمية شيوعية بشرت العالم من قبل بانتصار الشيوعية ونهاية عصر الدولة التي تمثل سلطة رأس المال والذي لم ينقض عقد على تلك المرحلة إلا وكنا أمام انتقال الرأسمالية بطبيعتها الليبرالية الجديدة إلى عصر كسر الحدود وتجاوز الدولة ليس بالصيغة الشيوعية ولكنها باتت ترى في الدولة والحدود عائقاً أمام رأس المال، وعلى أي حال فإن الحتمية الرأسمالية صيغت كرواية ووجهة نظر المنتصر تحيكها بالطريقة التي تراها، لذلك جسدت هذه المرحلة ثقافة جديدة تقوم على تعميم الثقافة الأمريكية ثقافة نهاية التاريخ ونهاية الفكر والتي تتكسر بإفراغ الإنسان من أي محتوى فكري وثقافي بحجة أنها تشكل قيوداً على التطور البشري، وتلك مرحلة من التاريخ ذهبت مع أصحابها الذين هزمتهم الرأسمالية، وهذا لم يكن ليستقيم للإمبريالية العالمية لولا أذرعاها الاقتصادية التي روجت لمنطق الاستهلاك وروجت للفردية المغرقة في الأنا عبر وسائل التواصل، فالثورات الليبرالية من الطبيعي أن تتسم بخلفيتها الفكرية.

بالطبع مسألة الحتميات والتبشير بالنهايات ليست من بنات أفكار الفكر الماركسي أو الرأسمالي، فهو قديم قدم البشرية فأغراء الإنسان بالغيب والقوى الماورائية لأنها لا تقع تحت سيطرة الإنسان أو إدراكه كان دائماً يقوده إلى إظهار ذلك في تعبيرات ملحمية وروائية وعقيدية كرسنها الأديان أيضاً في تعاليمها على تعدد مصادرها، فهي موجودة في التعاليم المسيحية والإسلامية، فاعتناق المحافظين الجدد للعقيدة المسيحية المخترقة صهيونياً تقوم،



العدد رقم (75) صدر في 1 أيار عام 2021 للميلاد

على عودة المسيح المخلص والتي يلزم لها عودة اليهود إلى فلسطين، وهذه السردية كلفتنا نحن العرب حروباً ومذابح ودمار لم ترتو فيها عقائد هؤلاء المجرمين من دماننا بعد باسم المسيح وهو منهم ومن عقائدهم براء.

بالعودة إلى الحتمية والنهائية في الفكر الإسلامي فهي موجودة ومكرسة بشكل يعطي الأتباع الأمل الدائم ببصيص الضوء في نهاية النفق وأن النهاية التاريخية إسلامية، هذا الوعد البعيد الذي تغري به العقائد أصحابها ليس شيئاً سيبأ طالما أنه لم يتحول إلى وسيلة للهيمنة، وبقي في إطار تغذية الروح الإيمانية لدى أتباع أي ديانة، ولكنها تتحول في الواقع إلى إغراء حقيقي أو مصدر إلهام للقذف بالآلاف في مشاريع دموية عنوانها نشر هذه الديانة أو تلك والشهادة في سبيل إسعاد الإنسانية بحيث تتجاوز هذه العقائد إلى حالة متطرفة مجنونة نراها تنهال على أمتنا العربية من كل حذب وصوب، فهناك حلم صهيوني يريد أن ينهي الكون بحتميته حول أرض الميعاد وهناك رجعة المسيح لدى المحافظين الجدد وهناك حلم إقامة دولة الخلافة ونهاية الدنيا بعودة المسيح المسلم وهناك حتمية إمبريالية تبشرنا برأسمالها وشركاتها وإنهاء الحدود والقيود فتتشن حروبها على بلادنا وبلاد العالم من أجل "الحرية" و"الديموقراطية"، فعلاً نحن نواجه الدنيا التي تبحث عن سعادتنا وباسم هذه السعادة يسفكون دماءنا ويدمرون بلادنا ويستبيحون حياتنا وفكرنا وعاداتنا وقيمنا باسم الدين أو باسم الديموقراطية وباسم العلمانية إلى آخره...

عوداً على بدء نجد أن جماهير ثورات الناتو لم يجدوا شعاراً وفكرةً ومشروعاً يرجعون إليه في حل مشاكلهم التي انتقضوا من أجلها سوى الدولة المدنية والديموقراطية!

وهل الدولة أساساً ليست مدنية؟ إن مثل هذا الشعار الفضايف هو المصيدة بعد مصيدة "الديموقراطية"، لا أحد ممن نقصدهم هنا كان يدرك ما هي الدولة المدنية، ولا يدرك شكلها أو حتى ما هي التطبيقات الواقعية لهذا النموذج من الدول، ولكنه شعراً كان من السهولة بمكان ليقود إلى الدولة الليبرالية بمعنى دولة مفرغة من القيم الأصيلة للمجتمع العربي الذي يتسم بسمات حضارية تتشكل من عاداته وتقاليده وأخلاقه ومضامينه الإيمانية بمحتواها الإسلامي والمسيحي والتي تشكلت في تفاعلات الإنسان العربي عبر التاريخ وأنتجت طابعنا العربي المتميز عن غيره من المجتمعات الأخرى التي لها طابعها هي الأخرى، فميزاننا الحضارية والنفسية والثقافية وتعبيراتها في العادات والتقاليد وفي محتواها اللغوي العربي من المؤكد أنه يتميز عن تلك الخصائص المقابلة لها لدى الأمة الفارسية مثلاً، ونسوق هذا المثال بحكم الجوار التاريخي بيننا وبينهم، وهذا ينطبق على الأثر أيضاً بنفس القدر، فما بالناس بالمقارنة مع أمم أوروبا أو إفريقيا، وهذا الطابع الذي تتميز به والذي يشكل مكونات الهوية العربية ليس المقصود به طرحاً شوفينياً أو عنصرياً، وإنما نقصد به وضع الحدود للجغرافيا وللإنسان والثقافة، أي وضع حدود الهوية العربية موضع التحديد والتميز التفاعلي الإيجابي مع غيرها من الهويات الأخرى.

في ظل هذا الفراغ والتيه الفكري في واقع المجتمع العربي والذي يتعرض فيه الإنسان العربي لمزيد من التضييق وشطب عناصر الهوية العربية، كيف نواجهه، وما هي الأدوات التي تواجه مثل هذا الوضع؟

يجب علينا التذكير بأن المشروع المغيب أو المحارب من قبل كل تلك الطروحات والمشاريع الفكرية هو المشروع القومي العربي، ونذكر به بمناسبة أنه كان ضماناً حقيقياً للحفاظ على هويتنا العربية القومية الحضارية، وقد احتوى بين جنباته الموروث التاريخي المغرق في القدم ومحتواها الإسلامي والمسيحي الحضاري، فقد وضع هذا المشروع الدين والإرث تحت مظلة واحدة، وضمن للأمة الاحتفاظ بتعاليمها الدينية والأخلاقية التي تعتقد بها، وشكل حائطاً منيعاً من الاختراق الليبرالي الذي يتمسح بالعلمانية والذي يسعى لهدم أركان المجتمع الأخلاقية والثقافية، فالمشروع القومي العربي وازن بين الدولة العصرية العلمانية وبين المعتقد الديني للمواطن العربي، فدولة المشروع القومي والتي عبرت عن ذاتها بأمثلة واقعية في سورية والعراق تحت حكم البعث ومصر الناصرية لم تهمل الدين أو تخرجه من التداول في التشريعات والحياة، وعملت بثقة على وضع الدين كمكون من مكونات هوية الأمة العربية الحضارية لا يضار أحدهما بالآخر.

على ضوء ذلك هل هناك حيزٌ وحاجةٌ للمشروع القومي العربي اليوم في واقع صراع الأيديولوجيات القائمة وحتمياتها التاريخية ونهاياتها، وهل هناك من يعنيه أو من يقبل الدفع بهذا المشروع إلى التطبيق الواقعي؟ حتى لو افترضنا أن الأرضية غير جاهزة لتطبيق هذا المشروع أو أن الظروف الدولية والإقليمية لا تسمح به حالياً،



لائحة القومي العربي

العدد رقم (75) صدر في 1 أيار عام 2021 للميلاد



فإن ذلك لا يعني أن الحاجة الماسة له ليست قائمةً وحقيقيةً، أولاً لأن هذا المشروع يقتضي النضال من أجل تحقيقه على أرض الواقع وجعله مشروع الجماهير التي تفتقد إلى مشروع بعد انكشاف مشروع الثورة الليبرالية الريبيعية المعولمة وانكشاف مشاريع الخلافة الدموية التي وضعت كل شيء على قائمة العداة والتصفية، ومن ثم انكشاف أكذوبة الديمقراطية والدولة المدنية التي كانت تهدف إلى إعادة بناء منظومة الفكر لدى المجتمع العربي واستبدالها بقيم غريبة عنها.

هذا المشروع لا يبحث عن حتميات ونهايات للتاريخ لأنه يقدم للمواطن العربي تقييماً لمشاكله ضمن نظرة شمولية بحدود الجغرافيا والسكان العربيين ويبني الحلول على هذا الأساس، ولا يحتاج أن يقول بنهاية التاريخ أو بحتمية انتصار العروبة على الكون لأنه ببساطة لا يحتاج إلى هذه التبريرات التي تمثل في جوهرها بعداً شوفينياً لا يتفق من حيث المنطلق مع ثقافة وحضارية الأمة العربية، هو ببساطة ينطلق من خصوصيتنا كأمة متكونة ولها هويتها الواضحة التي تحتوي كافة تفاصيل المواطن العربي، لهذا يقيم هذا المشروع نفسه على مستوى التفاعل الحضاري الإيجابي مع الغير والندية والصدامية مع الأعداء والمحتلين وفي حدود عداوتهم وبقائهم على جغرافيا الوطن العربي.

وهذا المشروع يسأل المواطن العربي: هل ما يحتاجه هو الليبرالية المتحررة من كل قيد، أم بقاء ثرواته في يد الشركات الكبرى لتستثمرها وتلقي له الفتات، أم الديمقراطية على النمط الغربي التي تتصارع فيها الأحزاب كالديكة، أم دولة مدنية تسقط الدين من حسابها تماماً وتفيد الشعور الديني لدى المواطن العربي بفيود التغريب والليبرالية، أم مشاريع دينية تشن الحرب على هوية المجتمع العربي القومية في سبيل حتميات غير واقعية ولا تمت للدين بصلة كإقامة دولة للخلافة تجمع شتات الدنيا تحتها غير مدركة أن النموذج الذي تتادي به تلك المشاريع الدينية قد تجاوزه الزمن ولم يعد بالمقدور إعادة انتاجه كنموذج كوني خرج من التداول منذ قرون، إلا إذا كان الغرض إنتاج كولونيالية إسلامية ستارها الدين لتقف بهذا على قدم المساواة مع الكولونياليات الغربية مع اختلاف التبرير، أم أن الغاية هي وضعنا تحت سلطة حاكمة تجمعنا مع هويات قومية مختلفة تماماً باستثناء انتمائها الديني، وهذه التجربة ذكرها السوداء ما تزال ماثلة في أذهان أمتنا العربية من أيام العصلي.

على أنه ليست هذه الأفكار فقط هي التي تتقاذف فضاء وطننا العربي، فالدولة القطرية نهض دعائها ومروجوها من سباتهم بعد سلسلة التدمير الممنهج خلال العقدين الأخيرين في بنية الوطن والمواطن العربي، وينظر هؤلاء إلى الالتفات إلى الذات القطرية لأنها خسرت كثيراً من التبنّي للمشروع القومي أو الإسلاموي أو حتى الماركسي، وهؤلاء لا يجدون حرجاً في القطيعة مع صلاتنا القومية وموروثنا الأخلاقي والديني والحضاري وينطلق إلى الفضاء الحر، فضاء يقبل (بإسرائيل) كجزء من منطقتنا وينعى علينا صراعنا مع هذا العدو ويستخف بدماء الشهداء بذريعة أننا وصلنا إلى ما نحن عليه بسبب إصرارنا على اعتبار (إسرائيل) عدواً خضنا معه الحروب العنيفة التي خسرها فيها العالم المتعاطف معها.

لهذا نسأل: ماذا يجب أن يُقدم على مائدة المجتمع، ولماذا نقدم المشروع القومي إلى ساحة النضال العربي؟ والجواب هو أن هذا المشروع يجب أن يبقى موجوداً ومتأهباً للحظة التاريخية حين تحين، وحين يأتي من يتلقفه أو يحمله إلى قمة الهرم، فهذا المشروع يجب أن يتقدم ويسبق لأن الصراع لا يسبح في الفراغ، فوجوده الحي شرط لتلقفه أو ليتم تنبيهه من الدولة أو القوة الثورية أو النخبة السياسية أو العسكرية في نقطة ما على الجغرافيا العربية في اللحظة المناسبة، لأن تفاعل هذا المشروع مع جميع عناصر الصراع في الواقع العربي يثريه ويقويه ويبشر فيه، وحتى لا يُتهم أو يسقط في برائن الجمود.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (75) صدر في 1 أيار عام 2021 للميلاد

يدرك هذا المشروع القومي الغموض والضبابية التي تثيرها الأيديولوجيات الأخرى من أجل فرض هيمنتها على العقول ليبقى الإغراء في أقصى تجلياته بالجري خلف أو هام النهايات والحتميات التي تعد الناس بالحرية المنفلتة أو بالجنة التي لا تأتي إلا من خرم إبرة معين أو بمشاعية غير قابلة للتطبيق أو بمداعية الغرائز المتوحشة والمكبوتة في القهر وإذلال الشعوب. إن هدفنا هو وحدة أمتنا العربية وتوجيه مواردها تنموياً وتحرير المغتصب من أرضنا وتحقيق التوازن بين الدولة ومنطلقاتها وبين مجتمعها من خلال تعبير أيديولوجيا الدولة عن حقيقة الهوية والمحتوى الحضاري للإنسان العربي، لذلك يبقى الطرح الفكري للمشروع القومي العربي ضرورة ملحة، فهو مشروع المستقبل العربي الذي لم يفقه الوقت ولم يصبح من التاريخ أو تتجاوزته الحياة، على عكس ما يسعى أعداؤه لوسمه به.

مفهوم القومية العربية لدى الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

إبراهيم حرشايوي



أصبح من المؤلفين ربط فكرة القومية العربية بصيغتها المعاصرة بالمشرق العربي بشكل تلقائي، وتحديدًا بمتقفي بلاد الشام، مما جعل رواد الفكرة في باقي أقاليم الوطن العربي في عتمة النسيان مهما كان دورهم الفكري أو السياسي. ومما لا شك فيه أن السبب يرجع إلى بواكر الفترة القومية العربية التي ترابطت مع سياسة التتريك في غضون ما عرف بمرحلة «التنظيمات العثمانية» أو مرحلة «الإصلاحات» المستوحاة من التجربة الأوروبية بتاريخ الدولة العثمانية. ولذلك يمكن تسمية فترة انبثاق الفكرة القومية العربية المعاصرة مشرقياً «باللحظة العثمانية»، إذ خرجت وقتذاك إلى العلن كطرح يسعى إلى وحدة ويقظة العرب الهوياتية، ومن ذلك الاهتمام الواسع بقضايا اللغة والتاريخ. أما مغاربياً، فلم تتبلور الفكرة القومية العربية حتى دق الاستعمار الأوروبي أوتاده، إذ لم تكن لدى المغاربة ردة فعل أو حساسية إزاء الأتراك والتتريك على غرار المشرق في ميدان الفكر والثقافة خلال فترة «التنظيمات العثمانية» والفترة التي تلتها، مع العلم أن العلاقة العثمانية-المغربية شهدت تشنجات واضحة بين الفينة والأخرى، ونذكر على سبيل المثال انتفاضة غومة المحمودي بطرابلس الغرب منتصف القرن التاسع عشر ومعركة وادي اللين سنة 1558م التي انهزم فيها الجيش العثماني شر هزيمة أمام الدولة السعدية بالمغرب. ولعل سبب ذلك يعود

للخطر الأوروبي المائل في القرن التاسع عشر أساساً، لا سيما أن الجزائر وقعت تحت الاستعمار الفرنسي عام 1830، أي قبل بدء مرحلة «التنظيمات العثمانية» بتسع سنوات، تلك التنظيمات التي كان الحافز للقيام بها الشعور بالنقص والدونية العثمانية إزاء الانتصارات الساحقة التي حققها إبراهيم محمد علي باشا على الدولة العثمانية، أساساً بسبب تبنيه لإصلاحات حديثة مدنية وعسكرية في مصر والأقطار العربية التي بسط محمد علي سلطته عليها.

وعليه، فإن غياب السبب التركي-الطوراني على شاكلة المشرق ساهم في ظهور الفكرة القومية العربية بالبلاد المغاربية في لحظة التحرر الوطني من الاستعمار الغربي والفترة الممهدة لها بصورة مختلفة عن المشرق ربطت عضواً بين العروبة والإسلام منذ اللحظة الأولى في مواجهة الخطر الغربي، حيث ظهرت كوكبة من الإصلاحيين والمناضلين قاموا بإضفاء صبغة مغاربية للقومية العربية ضمن سياق المرحلة، وقد استطاعوا دمجها في المشروع الوطني والاستقلالي كمبدأ هويتي وسياسي خارج إطار الحزب العفاندي، أو بمعنى أدق، بدون هيكل الفكرة القومية العربية بصيغة حزبية أسوة ببعض الأحزاب



المشرقية التي قامت على أساس قومي عربي محض أساساً لأن الشعار الإسلامي العثماني كان مجرد ذريعة لاحتلال أراضي العرب، تماماً كما هو اليوم.

وقد يعترض البعض بهذا الخصوص بالقول: ماذا عن الأحزاب البعثية والناصرية التي ظهرت بالفناء السياسي المغاربي؟ لم تكن هذه الأحزاب نبتة من نباتات التربة السياسية المغاربية، بل فروعاً لأحزابٍ مراكزها في المشرق العربي. وفي ضوء ذلك، يمكن قراءة ظاهرة الطرح العروبي والقومي لقامة مغاربية كالشيخ البشير الإبراهيمي، كطرح نابع من سياقه ومنبته، مع التأكيد أن ثمة رابطاً جوهرياً للفكرة القومية العربية تمثلها المبادئ والمنطلقات السامية والأفكار الرأجعة مشرقاً ومغرباً، والصدى المغاربي للأحزاب القومية العربية المشرقية يعبر في النهاية عن عمق الروابط القومية بين أجزاء الأمة العربية.

أما بخصوص شخصية البشير الإبراهيمي، فيمكن تصنيفه من بين الشخصيات التقليدية التي لعبت دوراً محورياً في الدعوة الإصلاحية وتأسيس الوعي الوطني والقومي الحديث بالجزائر والمغرب العربي. ويعود تصنيفه كتقليدي بناءً على البيئة الأسرية والتأطيرية التي ترعرع فيها منذ ولادته سنة 1889 بنواحي مدينة سطيف. إذ كبر وسط عائلة ذائعة الصيت، توارث أفرادها العلوم الدينية، ما جعله يسلك المسلك ذاته، حيث التحق بوالده الذي كان قد استقر بالمدينة المنورة، وواصل تعليمه هناك لمدة خمس سنوات، وتلمذ فيها على يد مجموعة من الفقهاء كالشيخ "الوزير العزيز التونسي" والشيخ "محمد عبد الله الشنقيطي". وبعد ثورة الشريف حسين، تم ترحيله مع مجموعة مقيمة بالمدينة إلى دمشق بسبب معارضتهم لتلك الثورة.

كانت فترة الإقامة في المدينة المنورة من الفترات الفاصلة في مسار البشير الإبراهيمي. ففيها وجد الشاب القادم من قرية "أولاد إبراهيم" فضاءً رحباً لتوسيع مداركه والانفتاح على المشرق العربي. وتدارس خلال تلك السنوات أوضاع الأمة العربية مع الشيخ عبد الحميد بن باديس (1889-1940) الذي التقى به بالمدينة المنورة سنة 1913، حيث خططا معاً للنهوض بالجزائر المحتلة وإعادتها إلى أحضان العروبة والإسلام بالمقاومة الثقافية تحت مظلة "جمعية العلماء المسلمين بالجزائر" التي تأسست سنة 1931 وقادها لتكون متراًساً لهذه المعركة. ويعد ابن باديس بدوره أحد رموز الحركة الاستقلالية والإصلاحية بالجزائر، وقد عززت أصوله الأمازيغية من مصداقية طرحه حول عروبة الجزائر، حيث أن امتزاجهم بالعروبة القديمة، المؤصلة في انتساب البربر لليمن، سابقٌ لامتزاجهم في المصاهرة والعقيدة.

قبل الخوض في أهم محاور الفكرة القومية العربية لدى البشير الإبراهيمي، تجدر الإشارة إلى أن الإطار الأيديولوجي العام "لجمعية العلماء المسلمين بالجزائر" يمكن تصنيفه ضمن التصور الديني للقومية العربية. هذا المفهوم الديني للقومية الذي يربط تمام الربط بين العروبة والإسلام، بمعنى أن العروبة وعاء حضاري تستمد شرعيتها من لغة القرآن، وأن اللغة العربية تصبح بحكم هذه الشرعية بوتقة ثقافية قادرة على صهر جميع الأجناس والجماعات اللغوية التي أسلمت. ويسلط ابن باديس الضوء على هذا التلازم بين العروبة والإسلام في مقالة نشرها في ذكرى المولد النبوي لسنة 1936 تحت عنوان "محمد رجل القومية العربية" يصف فيه الرسول محمد (ص) كالاتي: هذا هو رسول الإنسانية ورجل القومية العربية... هذا هو رسول الإنسانية ورجل الأمة العربية الذي نهدي بهديه ونخدم القومية العربية". وعلى العكس من رؤية الحركات الإحيائية المتزمتة كحركة الإخوان المسلمين، التي تعتبر التاريخ العربي قبل الإسلام "كفراً وجاهلية"، فإن ابن باديس يتخذ موقفاً متوازناً، معتبراً أن القرآن رغم ذكره لقبائح المجتمع العربي قبل الإسلام، إلا أنه لمع الحضارة العربية القديمة، خاصة مع عاد وثمود وإرم ذات العماد، ومملكة سبأ. ويضيف ابن باديس في هذا الجانب: "الحقيقة التي يجب أن أذيعها في هذا الموقف هي أن القرآن وحده هو الذي أنصف العرب. والناس، بعد نزول القرآن، قصروا في نظرهم التاريخية إلى العرب، فنشأ ذلك التخيل الجائر عن القصد".

وليس من محض الصدفة أن يؤسس مؤرخ "جمعية العلماء المسلمين بالجزائر" أحمد توفيق المدني علمياً للتاريخ الجزائري قبل الإسلام، لا سيما في كتابيه "كتاب الجزائر" و"قرطاجنة في أربعة عصور"، حيث تطرق فيهما للأصول الكنعانية للبربر، مؤكداً بذلك علاقة الشعب الجزائري بالمشرق قديماً وحديثاً. ولم يقتصر المدني على كتابة التاريخ القديم للجزائر، بل وظفه في الكتابة المسرحية مثل "مسرحية حنبل" التي روى فيها ملحمة زعيم قرطاج ونهايتها. ومما لا شك فيه، أن هذه المقاربة لتاريخ الهوية العربية للجزائر لدى نخبة هذه الجمعية تدل على إدراك عميق لأهمية ربط العروبة القديمة بالعروبة الحديثة كرد على مزاعم الاستعمار الفرنسي الذي حاول أن ينصب نفسه وريثاً للعهد الروماني.



العدد رقم (75) صدر في 1 أيار عام 2021 للميلاد



وكما لا يخفى على كل من له دراية بالتركيبة القبلية واللهجاتية بالمغرب العربي، فإن الجزائر كانت أول حقل تجارب للاستعمار الفرنسي حاول فيها تفرقة الشعب على أساس عربي-بربري. وقد كانت أول خطوة في هذا الاتجاه المرسوم الذي تم إصداره سنة 1859 لعزل البربر عن غيرهم في الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية، وهي خطوة ستحصل لاحقاً بالمغرب مع صدور قانون "الظهير البربري" سنة 1930. وقد اتبع الاستعمار الفرنسي شتى الوسائل والطرق لتنصير البربر وفرنستهم كما هو معلوم، مما جعل مثقفي "جمعية العلماء المسلمين بالجزائر" يلتجئون لخطاب يفند سردية المستعمر، إذ حاول الإبراهيمي مثلاً إبراز دور الدول التي عرفها بالمغرب العربي منذ الفتح الإسلامي في ترسيخ الهوية العربية بالرغم من انتساب العائلات الحاكمة لسلاسل بربرية، مبرهنناً بذلك على أن الهوية العربية لمقومات الدولة، من حيث أجهزتها وثقافتها كالغناء والموسيقى والأدب والتعليم، جنبت حدوث أي تناقض بالتركيبة الهوياتية للمنطقة. وبناءً على هذا الموقف، يرى الإبراهيمي أن المغرب العربي يشكل جزءاً لا يتجزأ من الوطن العربي، وأن الميول نحو التفرقة يرجع إلى سببين يتمثل أولهما بحسب الإبراهيمي في أمزجة العرب إبان عصور الانحطاط التي مالت نحو العصبية العرقية والقبلية، أما السبب الثاني فأفرزه الغزو الفكري والثقافي الغربي، الذي نقل أفكاراً تدعو للتفرقة وتفتعل قضايا مزيفة لتعميق التفرقة وضرب أسس التجانس الاجتماعي.

أما بخصوص الطرح الوجودي، فيمكن وضع البشير الإبراهيمي في خانة دعاة الوحدة الاتحادية أو الفدرالية نتيجة لاعترافه بوجود دول عربية مستقلة بذاتها. ويوضح أن ما يجمع هذه "الدول المستقلة بذاتها" هي رابطة القومية التي تتجاوز حدود تلك الأقطار المتفرقة. ويضيف الإبراهيمي في هذا الصدد أن كل القضايا العربية هي قضايا مشتركة لا تتجزأ، معبراً بذلك عن وجوب وقوف العرب مع الحق الجزائري مثلاً، بصفتها قضية لا يمكن حلها بمنطق قطري. وبالنسبة للمراحل التي ينبغي تخطيها، يقول الإبراهيمي إن من الضروري إزالة أسباب التنافر بين الشعب العربي في الميدان الثقافي-الفكري والاتصال بالعصر من خلال تكوين رأي عام عربي ناضج، لأنه لاحظ أن كثيراً من المناطق العربية لم يتكوّن فيها رأي عام حقيقي، وأنها ما تزال تروح تحت سيطرة الزعامات المحلية التي تمثل التذير والتفكك. وعليه، يبدو أن الإبراهيمي كان يركز الاهتمام للوضع المرتبك والهش اجتماعياً مما يوحي أنه كان يروج للفكرة الوجودية والتحررية انطلاقاً من القواعد التي ينبغي تأطيرها وتقويتها.

وقد تبنى الإبراهيمي فكرة مشابهة لفكرة "الإقليم القاعده"، أو فكرة "الزعيمة الطبيعية"، على حد تعبير ساطع الحصري، بعدما اعتبر مصر أكثر الأقطار المؤهلة لقيادة وحدة العرب كونها أكثر قدرة من غيرها من الأقطار العربية والإسلامية على تأدية مثل هذه المهمة. وينبع موقفه هذا من الدور المصري بعصر النهضة والحقبة الناصرية في لم شمل العرب وانتهاج سياسية عربية وحدوية، بالإضافة إلى وزنها الديموغرافي وموقعها الجغرافي الذي جعلها في قلب البلاد العربية الإفريقية والآسيوية. ولهذا السبب كان من ضمن النخبة القومية العربية التي سارعت إلى إرسال برقية تهنئة لعبد الناصر والقوتلي بمناسبة إعلان الوحدة المصرية - السورية في شباط/فبراير 1958. وقد جاء في برقية الإبراهيمي بخصوص الوحدة المصرية-السورية ما يلي: "إن وحدة العرب هي الأصل والقاعدة وما سواهما شذوذ وانحراف... فباسم الإسلام وباسم العروبة أهنئكم بنجاح مساعيكم الصادقة في الخطوة الأولى بتوحيد العرب، من أثر التفرق والاختلاف، وسيكون لحاق المتخلفين بها عملاً صالحاً كله، فيا بشري للسابقين". يُستشف من ذلك أنه كان ينظر إلى الوحدة العربية كمبدأ سياسي لا مفر منه، خصوصاً إذا أبرزنا البعد المناهض للاستعمار كدافع رئيسي لدى الإبراهيمي لدعوته الوجودية، بحكم إيمانه المطلق بأن غياب الوحدة يمثل سبباً مباشراً لفرض الهيمنة الاستعمارية على الوطن العربي، وكانت الجزائر وقت الوحدة المصرية-السورية ما تزال تحت الاحتلال الفرنسي.



العدد رقم (75) صدر في 1 أيار عام 2021 للميلاد



إلى جانب الوحدة العربية وعروبة شمال إفريقيا، تعتبر قضية التعريب من أهم المواضيع القومية التي عالجها البشير الإبراهيمي. يتميز مفهوم التعريب في السياق الجزائري، ولدى جمعية علماء المسلمين بشموليته بسبب ما تعرضت له اللغة العربية من تنكيل في المغرب العربي على يد الاستعمار الفرنسي. ويرى الإبراهيمي التعريب شرطاً لتحقيق الوحدة العربية الاجتماعية، انطلاقاً من مسلمة مفادها أن الأدب العربي همزة وصل بين العرب عبر العصور، وبأن عملية تعريب كل مناحي الحياة في المجتمع العربي تتم بدءاً بالألسنة والأفكار وانتهاءً بأساليب العيش والأسرة وهيئات الأكل والشرب. وكان يؤمن بأن هذه العملية تقع على عاتق المدرسة الوطنية ولذلك جعلت الجمعية على رأس أولوياتها توفير التعليم الوطني بالجزائر عن طريق تأسيس 150 مدرسة حرة.

وهكذا يتضح أن جمعية العلماء المسلمين بالجزائر التي تأسست سنة 1931 كانت في جوهرها رد فعل ثقافي ضد توغل الاستعمار الفرنسي في مفاصل البلاد الثقافية والوجدانية، وأنها نجحت نتيجة للمجهود الفكري لروادها، وفي مقدمتهم الشيخ الإبراهيمي والشيخ بن باديس والمؤرخ أحمد توفيق المدني في خلق مدرسة فكرية وسياسية جمعت بين الإسلام والقومية العربية والوطنية الجزائرية. فمن المتعارف عليه، نظرياً على الأقل، أن الاستقلال السياسي لا

يكتمل، إلا بالاستقلال الثقافي ووحدة الأمة واستعادة الذات العربية، إلا أن التحليل المنصف لا يملك غير الإشادة بما تم إنجازه على هذا الصعيد من قبل طليعة استثنائية رسمت الطريق نحو ثورة الفاتح من نوفمبر الخالدة.

مراجع:

- د. بشير فايد، "الإمام محمد البشير الإبراهيمي داعية الوحدة العربية". بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2013.
- د. محمد عمارة، "الشيخ البشير الإبراهيمي: إمام في مدرسة الأئمة". القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2011.
- د. عبد العزيز فيلالي، د. أحمد صاري، د. الطاهر بوناني، "البيت الباديسي: مسيرة علم ودين وسياسة". الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2012.
- د. عبد الإله بلقزيز (إشراف)، "الثقافة العربية في القرن العشرين: حصيلة أولية". بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2013.
- محمد جمال باروت (إشراف)، "الأحزاب والحركات القومية في الوطن العربي". بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2012.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (75) صدر في 1 أيار عام 2021 للميلاد

الصفحة الثقافية: نازك الملائكة تكتب عن القومية العربية والحياة

مجلة الآداب اللبنانية 1960 (منقولة بتصريف)

إعداد: طالب جميل



في العام 1960 وخلال فترة الربيع القومي الحقيقي الذي هب على الأمة العربية في تلك السنوات المباركة، كتبت الشاعرة العراقية نازك الملائكة مادةً في مجلة الآداب، وهي مجلة ثقافية شهرية صدرت من بيروت، في العدد (الخامس) الصادر بتاريخ 5/5/1960، بعنوان (القومية العربية والحياة) تقول فيها: لعل الصفة الكبرى لذهنية الإنسان المعاصر هي الرغبة الجامحة في الحصول على تعريفات شاملة واضحة للأشياء كلها، فلقد تساقطت هالات القداسة عن الأشياء وبتنا مغرمين بالوضوح والاقتناع الكامل، وبالغنا في ذلك فعندنا نطلب تعريفات حتى لما يكبر عن التعريف. ولعلنا ننسى أن التعريف في حقيقته حصرٌ وتضييقٌ وتقليل من قيمة الأشياء، بينما تأبى الحياة وتتعالى كلياتها عن أن يضيق عليها. ومن ثم فإننا حين نمضي في بحثنا الأهوج عن التعريفات تكون النتائج وبالأعلى علينا لأن ما لا يُعرف يبقى بعيداً راسخاً مغلفاً بالضباب لا يرقى إليه شيء من ألفاظنا، بينما ننتيه نحن ونغرق في تيه الكلمات والعبارات وخلال ذلك يبقى قانون الأشياء التي فسلنا في تعريفها نافذاً فينا يعمل في حياتنا ويسيرها تماماً كما تسير الشمس حياة إنسان ينكر وجودها بتعريف مغالط.

ولا ريب في أن البحث عن التعريفات قد جاءنا من الغرب، من أوروبا التي يتصف الفكر فيها بأنه متشكك قاصر عن أن يتحسس البصيرة المضيئة التي ركبها الطبيعة في الإنسان، وأما نحن في هذا الشرق العربي فإننا نملك من روحانية الطبع وغازة العاطفة ونقاوة الإيمان ما يجعلنا نفخ خاشعين مبهورين أمام المغيب والمجهول سواء كان ذلك في أعماق كياناتنا الإنسانية المبهمة، أم في الكون الكبير كله. ولقد حاول الغرب أن يشككنا في قيمة هذه الصفة فينا كل التشكيك غير أنها بقيت مع ذلك مزية فينا لأنها لا تصدر إلا عن اتصالنا بالأعماق الفطرية للإنسان.

لقد وقفنا دائماً خاشعين أمام الطبيعة وأمام الإنسان فتقبلنا الحقائق الكبرى تقبل تسليم من دون أن نناقشها أو نحاول تعريفها، وكان ذلك هو أساس حكمتنا الشرقية.

لا، لم نحاول أن نعرّف أشياء مثل (الله) و(العروبة) و(الجمال) و(الروح) و(الغيب) و(العاطفة)، لم نحاول ذلك حتى جاءنا هذا العصر الحديث الذي أسلم قياد أذهاننا إلى أوروبا المتشككة. لقد افتقرت روحيتنا إلى درجة أننا أصبحنا لا نستطيع أن نستمتع بدفع الشمس قبل أن نجد تعريفاً لهذه الحرارة السحرية التي تغرق كياناتنا كله وتملأنا بالنشوة والخرر اللذيذ، ولم يعد في إمكاننا أن نشعر بعذوبة قوميتنا العربية إلا إذا حصلنا أولاً على تعريف شامل شافٍ لها. ونحن في ذلك أشبه بإنسان يمتص قصب السكر ويرفض أن يجد له لذة إلا إذا لجأ إلى مختبر وحل السكر إلى جزئياته أولاً.

وهكذا بتنا نسمع السؤال يضح ويصرخ ويدوي: لم هذه القومية العربية؟ وما تعريفها؟ ولاح السؤال للمستعجلين والبسطاء - ذكياً ومفحماً، ووقفوا عنده حائرين كما يقف إنسان نفاجه بالسؤال: (ما الجمال؟ ما تعريفه؟) فالحق أنه سؤال عريض، وإذا نحن عجزنا عن إعطاء تعريف فالمشكل خطير. ذلك أن عصرنا المريض بحب التعريفات على استعداد لأن يعتقد بأن ما لا يعرف لا وجود له. ونتيجة إخفاقنا في صياغة تعريف للقومية العربية سنقضي عليها في نظر بعض الناس بأن تختفي وتتلأشى وتصبح كلمة فارغة لا كيان لها.



العدد رقم (75) صدر في 1 أيار عام 2021 للميلاد

إن العروبة هي الصفة التي تمنحها هذه البقعة لأبنائها كما أن هذا الظل هو الظل الذي يلقيه ذلك الجسم على الأرض ولن تتغير هذه الحقيقة مهما صغنا لها من تعريفات.

ومع ذلك، فما زال المطلوب منا أن نجد تعريفاً للقومية العربية تماماً كما ينبغي لنا أن نعرّف الجمال والحياة والدفء وضوء القمر وطعم السكر، وحين نقف بإزاء هذه المبهمات الجميلة لنعرفها سنلاحظ أنها كبيرة بحيث تصغر أمامها كل لغة، وإن محاولة التعريف تنطوي في ذاتها على فرض سابق بأننا منفصلون عن هذه الأشياء وأنها أعلى منها، وذلك موقف ساذج ينبغي ألا نقع فيه ذلك أن هذه الأشياء ترتبط بحواسنا وكياننا بحيث لا يعود من الممكن أن ننفصل عنها لنحكم عليها من الخارج.

إن القومية العربية وضوء القمر وطعم السكر كلها أشياء تكبر عن التعريف لأنها قوام حياتنا، وأي تعريف يحد من لانهايتها لا يسيء إليها وإنما يسيء إلينا نحن وذلك لأن قانونها نافذٌ فينا سواء اعترفنا به أم لم نعتزف وسواء أوجدنا له تعريفاً أم لم نجد، فإذا انشغلنا عن ذلك القانون بالتعريفات أو وضعنا تعريفاً يقلل من قيمتها فلن يتلقى النتائج المريرة المضرة سوانا.

وهكذا ننتهي إلى القول بأن القومية العربية مهما كان تعريفها تنمو في قلوبنا بمعزل عن وعينا وتختلط بكل قطرة من دماننا، وترسب في عظامنا وتتصلب معها.

وسواء سمعنا بها واهتدينا إلى اسمها أم بقينا على جهل تام بها، فنحن نحتويها في أعماق كياننا، وما ذلك إلا لأنها محصلة الاندفاع العفوي للحياة نفسها، فهي كالزهرة تنبت على الشجرة لمجرد أن هناك تربة وغذاء وماء، لمجرد أن هناك حياة. فما تكاد الإنسانية توجد حتى تبدأ القومية، وكما أن الحياة تنمو بالشمس والغذاء والهواء فكذلك ينمو الشعور القومي في دماء الإنسانية الحية. إن شمسنا العربية تسكب دفتها القومي في دماننا منذ الطفولة، ونحن عربٌ ونحن قوميون لمجرد أننا عشنا حياة طبيعيةً ونمونا مع الضوء والنسيم الحر والخضرة. والحق أننا إذا رضينا أن نصيّق القومية العربية إلى درجة أن نحصرها فلن نتردد في أن نعرّفها بأنها الحياة نفسها، الحياة الإنسانية كما تتجلى في هذه البقعة الخصبة الموهوبة من العالم.

إن هذا التعريف بأن القومية هي الحياة ينطوي على صغره على مضمونين نحب أن نقف عندهما:

المضمون الأول أن القومية العربية إرثٌ في كياننا لا مهرب لنا من أن نحمله ونخضع له ونتطبع به، إنها كائنةٌ وواقعة، ونحن في داخل حدودها، وهي تحيط بنا وتتضمننا وتشتمل علينا. فأينما اتجهنا ومهما اعتنقنا من الأفكار فنحن قوميون عرب، شئنا أم أبينا تلك هي صفتنا الحقة التي يتحكم قانونها فينا، إن الطفل العربي يصبح قومياً بمجرد أن يولد، والإنسانية عموماً تكتسب صفة القومية بمجرد أن تكون صفةً تتحرك وتتغذى وتبدع، وما يكاد المرء يصغي إلى متطلبات الحياة والفطرة في نفسه حتى يصبح قومياً. وأنه لأكيدٌ أننا لو نجحنا في تجريد أي عربي من قيوده وتصنعاته والتواءات تربيته لوجد نفسه عربياً قوماً الاتجاه.

إن القومية العربية هي في الواقع مجموع ما فينا من خصائص وراثية وبيئية، والخلاصة الحقة لبياننا العاطفي وتكويننا النفسي والعقلي والجسمي. إنها تلازمنا كما تلازمنا سمرة وجوهنا وسواد عيوننا وعاطفيتنا. فالسمرة والعاطفية والعروبة نفسها خصائص عفوية فينا، ليس لنا يدٌ في تكوينها ولا سيطرة لنا عليها إلا بمقدار ما تستطيع شجرة التوت أن تسيطر على خصائصها. ولعلنا نحمل عربيتنا كما تحمل شجرة التوت أثمارها التي تنتضج بالسكر والعصير وهي لا تدري لماذا تنبت وكيف.

وليست العروبة بأقل سكرأً أو عبيراً من ثمرات التوت لو نحن تذوقناها بشفاه الروح. ذلك أن التوت هو فضيلة الشجرة التي تنبت، وأما العروبة فهي فضيلتنا نحن، بنفس الأسلوب. وأنه لمحزنٌ ألا نستطيع إدراك هذا، فيفوت علينا بذلك أن نستفيد من المزية الرائعة التي تمنحنا إياها هذه الفضيلة، قوميتنا.

أما المضمون الثاني لتعريفنا بأن القومية هي الحياة، فهو أننا بهذا التعريف نسبع على القومية ما للحياة من ضرورة، فهي مطلوبة لأننا لا نستطيع أن نعيش من دونها ولأن المجتمعات لا تقوم على شيءٍ غيرها.



يطلب الإنسان الماء والغذاء بفطرته لأنهما يغذيان جسمه، وهو يبحث عن الشمس ويحْكَمها في حياته لأن وجوده يرتكز إليها.

وكذلك نبحث عن قوميتنا ونلتصق بها لأنها تغذيها وتحميها وتفسر لنا وجودنا، ومن دونها تستحيل الحياة. ونحن في ذلك شبيهون بالأشجار التي تبحث عن مصلحتها فتأخذ من الدفء والضوء والألوان ما يعينها على النمو والحياة، وكذلك تبحث الإنسانية فينا عن مصلحتها وضمان سعادتها فتجدها في الشعور القومي. ولعل أكبر الأدلة على ضرورة الإحساس القومي هو أبسطها على الإطلاق. ذلك شأن الحياة، يكمن أعماق ما فيها من عمق، في أبسط ما فيها من بساطة. وقد آلف الإنسان أن يعقد الأمور فيبحث دائماً فيما هو بعيد، بدلاً من أن يلقي نظرة حوله. أحياناً نبحث ساعاتٍ عن شيءٍ أضعناه في الوقت الذي يكون فيه في أحد جيوبنا. وهكذا رحنا نبحث عن مبررات الإحساس القومي بعيداً عن ذواتنا مع أنها تكمن فينا نحن، قبل أي موضعٍ آخر. ذلك أن مجرد وجود إحساسنا يدل على أنه ضروري لا يمكن الاستغناء عنه والواقع أن الوجود والضرورة هما شيء واحد لا يمكن تقسيمه إلى اثنين.

إن ما هو موجود إنما كان موجوداً لمجرد أنه ضروري، ذلك هو القانون. وما دامت القومية العربية شيئاً واقعاً محتوماً على كل إنسان ولد في هذه المنطقة وعاش فيها، فنحن لا نحتاج إلى أن ندعم ضرورتها بأي دليل غير وجودها نفسه.

إن القومية العربية قد كانت نتيجة اجتماعية محتومة تطلبتها ظروف هذه المنطقة عبر قرون التاريخ البطيئة. أو لنقل أنها تشبه أن تكون مجموعة أعضاء اجتماعية خطيرة تقابل الأعضاء الفسيولوجية، وقد باتت لهذه الأعضاء وظائف حية، فمن المستحيل أن ننزعها دون أن نموت.

لقد أصبحت هذه القومية حاجة طبيعية (بيولوجية) ينبغي أن تتحقق لكي يستطيع الإنسان العربي أن يكون سعيداً ويعطي الحياة أوسع عطاء يتاح له. وسوف نستعرض فيما يلي بعض وجوه هذه الحاجة.

أ- الحاجة الإنسانية إلى المشاركة

يستند الشعور القومي في جوهره إلى الانسجام الطبيعي القائم بين الناس الذين يعيشون في بيئة واحدة ويتحدرون من ظروف تاريخية واحدة. وهذا الانسجام ضرورة من ضرورات الحياة، يذوي الإنسان من دونه ويموت. إنه قانون نافذ فينا سواء أدركناه أم لا. فنحن في حياتنا القومية نحتاج إلى أن نجسد أناساً يفهموننا ويشاركوننا عقائدنا وحماساتنا وآراءنا. ونحن نبحث عن هؤلاء الناس بحثاً دائماً، فما نكاد نجد من يشبهنا حتى نندفع نحوه بغريزة خفية محتومة.

وقد آلف الإنسان أن يغتاض ويتألم إذا أحس أنه في وسط يخالفه نزعاته ورغباته العميقة الكبرى. وقد ترحل الأسر من الأحياء التي ترى نفسها فيها غريبة، مفضلة أحياء أخرى تلقى فيها من يفهمها ويندوق ما تندوق. وقد تترك مجتمعات كاملة وسطها وترحل إلى أوساط أخرى تجد فيها المشاركة والفهم. وهذه الرغبة الاجتماعية تنبع من صميم متطلبات الحياة الفطرية وغرائزها.

إن الطبيعيين يخبروننا بأن المخلوقات الحية -مهما صغرت- تبحث عن الوسط الذي يضع في طريق نموها أقل مقدار من المقاومة. وإذا اشتدت المقاومة ولم يستطع الكائن الحي -لسبب ما- أن يغير وسطه، اضمحل وربما انقرض نوعه كله على ممر السنين. وذلك ينطبق حرفياً على الإنسان الذي يتطلب فوق الانسجام الطبيعي الذي يتطلبه كيانه العضوي انسجاماً عاطفياً وتجاوباً فكرياً. ولن يتاح لهذا الإنسان أن يستفيد من موارده العقلية والروحية وينتج الإنتاج الحق الذي خلق له إلا إذا تيسر له الوسط الملائم الذي يضمن له الحد الأدنى من الطمأنينة والرضى والسعادة. وذلك ينطبق على الأفراد كما ينطبق على المجتمعات، وهو الأساس في حاجة المجتمعات إلى أن تقوم على دعائم من قوميتها.

والقانون هو أنه كلما كانت العناصر المشتركة بين الأقسام أكثر وأعمق جذوراً كانت القومية التي يكونونها أرسخ وأصلب عوداً وأقدر على المقاومة. والقومية العربية محظوظة بكثرة هذه العناصر فإن سكان المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي يرتبطون بعددٍ عجيب من الروابط كاللغة والتاريخ والثقافة والحضارة والتقاليد والإرث الخلقى والأحوال الاجتماعية والظروف السياسية وغير ذلك.



العدد رقم (75) صدر في 1 أيار عام 2021 للميلاد

وهذه الروابط هي، ولا ريب، مصدرُ سرورٍ كبيرٍ لكل فردٍ عربي بما تمنح الإنسان من فرح الإحساس بالمشاركة وطمأنينة الارتباط بالملايين أعمق ارتباط. وأي شعور من الغبطة يعترينا حين نساغر متوغلين بوادي جزيرتنا العربية فنسمع حيث سرنا قلوباً تخفق معنا وتحدث بلغتنا وتتلو قصائدنا وتردد أغانيها. إن التاريخ الذي أظنا قد أظل معنا الجزيرة السمراء وشمال إفريقيا، وكل ما نملكه من كنوز فكرية وجمالية هو أيضاً ملك لهم، من معلقة امرئ القيس الجميلة إلى أقاصيص شهرزاد وعنصرة وقد تحددت من ليلة إلى ليلة عبر قرون التاريخ العربي في كل مدينة عربية. هذه هي المشاركة الثمينة التي تعطينا إياها عربوتنا التي تتحرق في دماننا ممدودة الذراعين نحو تسعين مليوناً من العرب يتوزعون على مساحة شاسعة من الأرض العربية.

إن هذه المشاركة هي التي تعطي للقومية العربية واقعيته وجذورها المتمكنة ومن دونها تبقى الحماسة نظرية فلا تسندها الحياة. كلما كان الانسجام أكبر وأوسع مدى كانت الرابطة أوثق وأقوى وكان ثباتها في وجه أعدائها أيسر. إن المشاركة حيث وجدت تستتبع حماسات وحباً وصدقات. ومن ثم فإن أغنية عربية واحدة تنبعث في جمع مختلط من أبناء العرب كقيلة بأن تلهب مشاعرهم في لحظة وتشدهم بألف رابطة مرهفة فيندفع الواحد منهم نحو الآخر بينسم ويصافح ويتحدث. ذلك أن الأغنية جزء من تراث الأمة النفسي. إن لكل فردٍ معها تاريخاً شخصياً، قد ترتبط الأغنية بلحظة من لحظات الطفولة لدى أحدهم بيوم غائم معين لدى الآخر بقطعة حلوى شعبية لدى ثالث، بفترة ألم مومج لا تنسى لدى رابع. لقد سمعنا هذه الأغنية ذات صباح في فترة معينة من عمرنا تركت فيها نكهتها ولونها. ومنذ ذلك أصبحت جزءاً من تاريخنا الداخلي. ولكنها أيضاً جزء من تاريخ فتاة جزائرية تعيش بعيداً عنا وراء المسافات، وهي أيضاً أغنية صياد سمك يافع على البحر الأحمر تبوح سمره وجهه بأنه ينحدر من تاريخنا العربي نفسه. وما تكاد هذه الأغنية تنبعث حتى تشحن فينا تلك العواطف الدفينة والذكريات الحية وترفعنا إلى مستوى واحد من الانفعال.

كل هذه الروابط، كل أغنية عربية، كل بيت شعر قديم، كل حكمة وكل مثل، كل تحية وكل لفظة في اللغة، كل ذلك يشكل النسغ القومي الذي يجري في كيان العروبة الموهوب. وهذه الكنوز من الأغاني والقصص والألفاظ والأجواء والعواطف تربطنا ربطاً محكماً وتحفظ لنا في أعماقها رصيماً جاهزاً من الانفعال يستطيع أن يشحن وينبعث في أية لحظة ويجعل أيدينا تتماسك وتخلق مناصفاً لا تزعه قوة في الوجود.

ب- الحاجة إلى البذل العاطفي

يبدو أحد وجوه حاجتنا إلى القومية في حقيقة إنسانية بسيطة هي أن الإنسان مخلوق ذو عواطف، وأنه مجهزٌ بقدرة عظيمة على الانفعال في مختلف الاتجاهات. وذلك أنها طبيعة راسخة في الفرد البشري أنه يحتاج إلى أن ينفق طاقته الانفعالية ويتخلص منها وإلا أصبحت عبئاً عصبياً ثقيلاً يبهظ كيانه ويصيب توازنه النفسي بالاختلال، والمحبة بمختلف وجوهها ومراتبها هي السبيل الأعظم لإنفاق هذه الطاقة المشحونة من الأحاسيس فالإنسان مخلوق محب وهو لا يقوى على الحياة ما لم يحب كثيراً من الناس وكثيراً من الأشياء مختلف أنواع الحب.

إن لدينا طاقةً من الحماسة والمودة تبحث أبداً عن مصب فتجد متنفسها في أصناف الصداقات والعلاقات الفردية التي يدور كل فرد في فلكها. وتتسع حتى تتخطى الحدود الفرعية فتتجه إلى الدوائر الأكبر حين تلتقي بالشعور القومي.

إن العواطف الفردية الصغيرة التي يحسها إنسان نحو جاره لا تلبث أن تكبر حتى تتحول إلى العاطفة القومية، وكما أن الفرد لا يقوى على الحياة من دون أهل وأصدقاء ومعارف يبادلونه مختلف درجات الشعور، فكذا يحتاج أيضاً إلى أن يحب مجموعاً كبيراً بالغ الكبر ويمد إليه ذراعيه متعاطفاً معه كل التعاطف، وإنها لمزية خاصة بالإنسان أنه يملك في أعماق نفسه من بذور الخير والمودة أكثر مما يحتاج إليه في دائرة علاقاته الشخصية الضيقة، فلا بد له من أن يمنح حبه وحنانه إلى الملايين. إن الفرد منا يحس بان دفاعات جيشة نحو الآخرين نحو المجموع الأكبر تدفعه إليهم عواطف أخاذة وحنان مبهم لا تفسير له يصدر عن طبيعته العميقة الملزمة. وهذا الإحساس هو جوهر الشعور القومي نعطيته إلى الحياة لأنه يخلصنا من كثافة المشاعر الودية التي تغمر كياننا ولا بد أن ننفقها، وفق قانون طبيعته. إذا كانت صداقاتنا الفردية تمنحنا تحقيقاً لذواتنا المتعطشة إلى الأخذ والعطاء فإن صلاتنا الشعورية بالملايين توسع دائرة إنسانيتنا وتخرجنا من الخاص إلى العام وتضاعف مواهبنا وملكاتنا وقوة الخير في أنفسنا. ومن هنا كانت القومية إنماءً لإنسانية الفرد وشحذاً لدوافع الخير والروحانية في كيانه.



العدد رقم (75) صدر في 1 أيار عام 2021 للميلاد

وقد يعترض معترض بأن في إمكان المرء أن ينشئ صلات الحب هذه مع أبناء القوميات الأخرى ومن ثم فإن هذه الطاقة العاطفية الفطرية في الإنسان لن تستوجب قيام المجتمعات القومية. والجواب على هذا الاعتراض ما سبق أن أشرنا إليه من ضرورة قيام عنصر المشاركة لكي يكتمل للإنسان استقراره الروحي الحق وسعادته. أجل، إن في إمكان المرء أن يحب أفراد القوميات الأخرى خارج منطقته، كل الحب، ولكن ذلك لن يملأ نفسه حق الملاء، وسوف يبقى في روحه فراغ دائم أشبه بالمرض، ينادي بطلب علاقات قومية. وذلك هو سبب ما نرى من تكتل الجاليات الأجنبية في البلاد، فإنهم يجدون سعادة في تقاربهم حتى لو كانوا في أوطانهم أعداء لا يمكن التأليف بين قلوبهم.

ولعله من سوء حظ دعاة العالمية أن الإنسان ليس مخلوقاً نظرياً يخضع للعمليات الحسابية وإنما هو دائماً ابن بيئته يستمد إنسانيته وتكوينه المعنوي والمادي منها. وإنما تكون سعادته ويكون نجاحه بمقدار ما يحقق لنفسه من انسجام في مختلف الدوائر التي يعيش فيها. فقد يؤمن فردٌ عربيٌّ أحرُّ إيمان وأخلصه بأنه ليس من فرق بين الشعوب، ثم يذهب -على أساس إيمانه ذلك- ليعيش في أستراليا مثلاً ظاناً أنه بذلك قد حقق لنفسه السعادة المطلقة. غير أنه سرعان ما يصطدم بأنه غير منسجم، وأن المشاركة بينه وبين المحيط الجديد من الضالة بحيث يشعر بأنه تائه مضيق عطشان، من دون أن يفهم لماذا. وسوف يدرك هذا الإنسان بسرعة أن ذلك الحب الذي ظن أنه يكنه للناس والأشياء في البلد الجديد لم يكن حباً كاملاً يرضي نفسه كلها وإنما كان نزوة مثالية انساق فيها مع نظرية محضة. وإنما المحك هو القلب الذي يحكم بأمره ولا يخضع إلا لقانونه. وهذا القلب يغص بالدموع حين يتذكر النخلة الهزيلة التي كانت تقوم أمام منزله في الوطن البعيد، ويتأثر حتى لذكرى أولئك القرويين العرب الحفاة بشتائمهم وجهلهم وأمراضهم.

ج- الحاجة إلى الارتكاز والاتساع

أحد وجوه حاجة المجتمعات إلى الأحاسيس القومية أن القومية تمد إنسانية الفرد وتوسعها في مختلف الاتجاهات ذلك أن الإنسان حين يشعر بأنه فردٌ في جماعة كبيرة مقتدرة عديدة الملايين يكتسب إحساساً بقوة روحية هائلة وباتساع وامتدادٍ باذخين ليس لهما حدود، وما من شيء يلهب ملكات النفس مثل هذا الإحساس بالقوة والثقة والامتداد. إن الروابط الوثيقة المرهفة التي تشد عشرات الملايين من العرب تخلق منهم جماعة بكل ما في هذه الكلمة من مدلولات اجتماعية وكل جماعة قوية خاصة إذا كانت جماعة متجانسة دماً وتاريخاً ولغة وتقاليد.

إن تلك اللحظة التي ينبثق فيها الإحساس القومي في أعماق الفرد العربي هي لحظة انبعاث تشد فيه طاقات جديدة هائلة لا يحدها شيء.

إنها لحظة ميلاد وحياء وتفجر مواهب وتعطش للعمل والإنتاج بكل ما في قدرة الإنسانية من حماسة وحرارة. فما يكاد أصعب القومية يلمس ضمير الفرد العربي حتى يتسع في الزمان والمكان معاً ويلاحظ فجأة أن له ملايين من الأخوة والأحباء في بقعة شاسعة من الدنيا. إنه يخرج من ضيق بغداد أو القاهرة أو بيروت إلى فضاء رحب ممتد، أوسع مما تصله الأحلام. إن له، لهذا الفرد العربي الذي تختلج روحه بنبعته القومية، موانئ بيضاء مسترخية على البحر الأحمر والمحيط الأطلسي، له مدنٌ خضراء في شمالي إفريقيا وجنوبي الجزيرة، له مناجمٌ وآبارٌ نفضٍ في بقاع قاصية، له قتال السويس وشط العرب ومغارة قاديشا، وهو يجد نفسه يتسع ويتسع حتى يسمع نفسه يتكلم باللغة عينها في الأردن، ويضحك لنكتة عربية في ليبيا ويشارك بأغنية شعبية ساذجة في صعيد مصر. حينما اتجه هذا العربي فسيجد أناساً يتحدثون بلسانه ويبتسمون لنكته ويرددون أغانيه ويحفظون تاريخه ويتحمسون لكل ما يتحمس له، وفوق كل شيء سيجد أناساً يحبونه وتخفق قلوبهم في الترحيب به ويفتحون له أذرعهم المتلهفة.

وهكذا تمنحنا عربتنا إحساساً بقوة لا مثيل لها. أن هذه الملايين من الوجوه العربية المشربة بحرقة الشمس تعطي الفرد الواحد منا سنداً عظيماً ونصراً وثقة، وتُسعره بأنه لا يقف وحيداً وإنما ينتظره عبر المسافات أخوة مشاركون لا تشحب مودتهم ولا تنطفئ ولا تحول. وما يلبث الفرد حتى يملك أيضاً من الثقة بالنفس والقدرة على الكفاح والحياء.

في الواقع أن هذه القوة الغالبة التي تكسبنا إياها إحساساتنا القومية هي التي تجعل الاستعمار يحارب الدعوة القومية ويحاول خنقها بكل وسيلة تتاح له. يحاول الاستعمار أن يمنعنا من أن نكون قوميين كما يمنعنا من الاستفادة من الغلال والكروم الطيبة التي تمنحنا إياها أراضيها الخيرة المعطاء.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (75) صدر في 1 أيار عام 2021 للميلاد

يود هذا الاستعمار لو حمل أنهارنا ومضى بها، لو عرى جبالنا وودياننا من التوت والجوز، يود لو جف النسيم فلم يعد يحمل الرطوبة والحنان إلى شفاة السنايل المتحرقة في سهولنا العربية الخضراء. ولكن القومية العربية هي أتمن ما يريد الاستعمار أن يسلبنا إياه. فلو كانت هذه القومية مادة تلمس وتُحمل لمضى بها ديغول وأيزنهاور ومكميلان كما يمضون بالنفط والذهب والقطن والتمور. ولكن قوميتنا والحمد لله لا تُسرق.

إن العروبة هي كنزنا وأعزُّ ممتلكاتنا ونحن نملكها كما نملك النور والهواء والقمر والعيير، فهل في وسع جيوش الاستعمار أن تسلبنا هذا؟ إننا نقبض في أيدينا على القوة القاهرة التي تؤرقهم وتخيب كل مطامعهم. ففي أيدينا المتشابكة حرارة العروبة وحماسة القومية فلن يفرقنا بعد ذلك أي شيء.

إن ضمان المجتمع القومي لهذه الحاجات الطبيعية الثلاث في حياة الفرد يجعل القومية العربية سبيل حياة للفرد وللجماعة معاً، فنحن نحس الحاجة إليها كما نحس الجوع والعطش والحنين. وإن جوع العروبة في نفوسنا لهو ألد أنواع الجوع وأحبها لأنه الجوع الأسمى الذي يركز إلى عطش الاكتمال وحرقة الحياة نفسها، فلا سعادة لنا من دونه ولا غد ولا إنسانية.

كتاب "حول الخط الاستراتيجي العام لحركتنا وثورتنا"، ناجي علوش، 1974

فهرس الكتاب:

تقديم

القسم الأول:

حول الخط الاستراتيجي العام لحركتنا
حركتنا والعمل الجماهيري

القسم الثاني:

حول الخط الاستراتيجي العام لثورتنا

اليسار الطفولي والثورة الفلسطينية

بين تقديس العلنية وتقديس السرية

الغابات البشرية لا الغابات الشجرية هي الأساس

الجهة الوطنية الأردنية: ضرورتها ومهامها

المأزق الراهن وطريق الخروج منه

الثورة الفلسطينية واللعبة الدولية

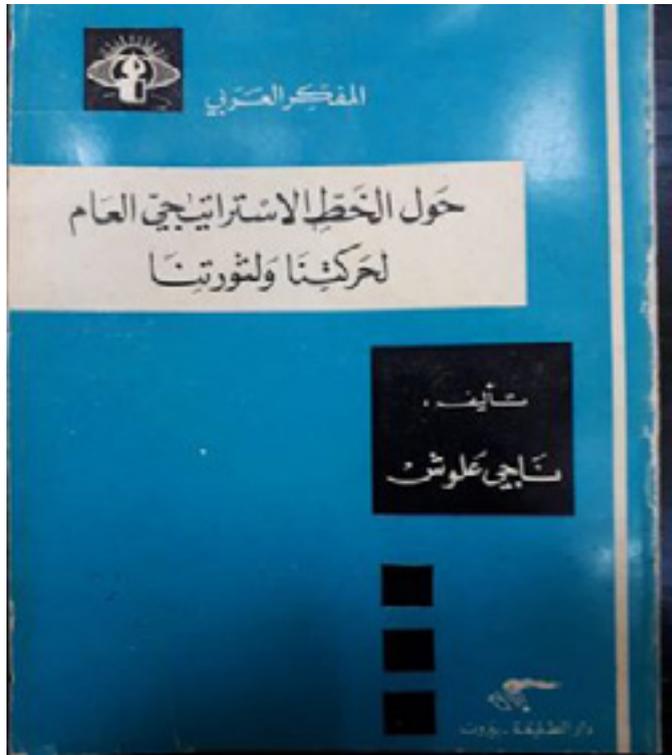
القضية الفلسطينية أمام سياسة الوفاق الدولي

القسم الثالث:

الانتهازية السياسية: أسبابها ومظاهرها وأخطارها

لتحميل الكتاب، اذهب إلى هذا الرابط:

<http://www.freearabvoice.org/?p=7038>





لائحة القومي العربي

العدد رقم (75) صدر في 1 أيار عام 2021 للميلاد

كتاب "حركة التحرير الشعبية العربية: البرنامج السياسي"، 1983

فهرس الكتاب:

القسم الأول: برنامج المهمات الأساسية

- الباب الأول: الوطن العربي في الجغرافيا والتاريخ والاقتصاد والسكان
- الباب الثاني: الوطن العربي، وصراع الوحدة والتجزئة
- الباب الثالث: إرهابات العصر الجديد وقضاياها
- الباب الرابع: المجتمع العربي: البنية الطبقية
- الباب الخامس: قوى الثورة والقوى المضادة للثورة
- الباب السادس: في طبيعة الثورة
- الباب السابع: حول البرنامج

القسم الثاني: حول الوضع الراهن والمهمات الراهنة

- الباب الأول: حول الوضع العربي الراهن
- الباب الثاني: حول الوضع الدولي الراهن

لتحميل الكتاب، اذهب إلى الرابط التالي:

<http://www.freearabvoice.org/?p=7049>



قصيدة العدد: عيد البرية/ رشيد سليم الخوري في مدح النبي العربي*

فِي الْمَشْرِقَيْنِ لَهُ وَالْمَغْرِبَيْنِ دَوِي
شَمْسُ الْهَدَايَةِ مِنْ قُرَائِهِ الْعَلَوِي
يَا لِتَمَدُّنِ عَمَّ الْكَوْنِ مِنْ بَدَوِي
الْيَوْمَ يَقْطُرُ ذَلَالًا سَيْفُكَ الدَّمَوِي
صَارَتْ بِلَادُكَ مَيْدَانًا لِكُلِّ قَوِي
عَهْدُ بَرْوَجِي أَقْدِي عَوْدَهُ وَدَوِي
فَلْيُنْثَلْ مَا فِي تَوَارِيخِ الشُّعُوبِ رُوِي
لَا يَنْهَضُ الشَّرْقُ إِلَّا حُبَّنَا الْأَخَوِي
فَبَلِّغُوهُ سَلَامَ الشَّاعِرِ الْقُرَوِي

عِيدُ الْبَرِيَّةِ عِيدُ الْمَوْلِدِ النَّبَوِي
عِيدُ النَّبِيِّ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَنْ طَلَعَتْ
بَدَا مِنَ الْقَفْرِ نُورًا لِلْوَرَى وَهَدَى
يَا صَاحِبَ السَّيْفِ لَمْ تُفَلِّ مَضَارِبُهُ
يَا فَاتِحَ الْأَرْضِ مَيْدَانًا لِدَوْلَتِهِ
يَا حَبِّدًا عَهْدَ بَغْدَادٍ وَأَنْدَلُسِ
مَنْ كَانَ فِي رَيْبَةٍ مِنْ ضَخْمِ دَوْلَتِهِ
يَا قَوْمُ هَذَا مَسِيحِي يُذَكِّرْكُمْ
فَإِنْ ذَكَرْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ تَكْرِمَةً



لائحة القومي العربي

العدد رقم (75) صدر في 1 أيار عام 2021 للميلاد

* دُعي الشاعر اللبناني المسيحي رشيد سليم الخوري الملقب بـ "الشاعر القروي" إلى حفل بمناسبة عيد المولد النبوي أقيم في مدينة سان باولو وطلب منه أن يُلقي كلمة فقال:



أيها المسلمون... أيها العرب...
يولد النبيُّ على ألسنتكم كلَّ عام مرّةً
ويموت في قلوبكم وعقولكم وأفعالكم كلَّ يوم ألف مرّةٍ
ولو ولد في أرواحكم لولدتم معه، وكان كلُّ واحد منكم محمداً
صغيراً

ولكان العالمُ منذ ألف سنةٍ أندلساً عظيماً
ولالتقى الشرقُ بالغرب من زمن طويلٍ
واعتقدت المادةُ الغربية مع روح الشرق المسلم حلقاً
ولمشى العقلُ والقلبُ يداً بيد إلى آخر مراحل الحياة
أيها المسلمون، ينسب أعداؤكم إلى دينكم كلَّ فريضة، ودينكم من
بُهتانهم براء

ولكنكم أنتم تصدقون الفريضة بأعمالكم وتقرؤونها بإهمالكم
دينكم دينُ العلم، وأنتم الجاهلون
دينكم دينُ التيسير، وأنتم المعسيرون
دينكم دينُ الحُسنى، وأنتم المنقرون
دينكم دينُ النصر، ولكنكم متخاذلون
دينكم دينُ الزكاة، ولكنكم تبخلون

يا محمد... يا نبيَّ الله حقاً... يا فيلسوف الفلاسفة وسلطان البلغاء ويا مجدَّ العرب والإنسانية...
إنك لم تقتل الروحَ بشهواتِ الجسد
ولم تحتقر الجسدَ تعظيماً للروح
فدينك دينُ الفطرة السليمة....

وإني موقنٌ أن الإنسانية بعد أن بُست من كلّ فلسفاتها وعلومها، وقنطت من مذاهب الحكماء جميعاً؛ لن تجد مخرجاً
من مأزقها وراحةً وروحاً وصلاحاً أمرها إلا بالارتقاء بأحضان الإسلام... عندئذٍ يحق للبشرية في مثل هذا اليوم أن
ترفع رأسها وتهتف ملء صورها، وبأعلى صوتها...

ثم أنشد القصيدة الخالدة "عيد البرية" في مدح النبي العربي الأكرم.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (75) صدر في 1 أيار عام 2021 للميلاد

تعليق سياسي: عن صاروخ سورية ”الطائش“.. وضرورات القوة

كريمة الروبي

”ثمن الكرامة والحرية فادح.. لكن ثمن الذل أفدح“ .. جمال عبد الناصر

لم يكن الصاروخ المنطلق من سورية ليصل إلى منطقة النقب بالقرب من مفاعل ديمونة النووي مجرد صاروخ أخطأ هدفه، بل رسالة للجميع، للصهيوني الذي يعيثُ فساداً من دون رادع ويظن أنه يمتلك القوة المطلقة وأن قبته الحديدية ستنجيه من صواريخ المقاومة، كما جاء رسالة قوية لهؤلاء الذين لديهم تسليم بقوة العدو وانسحاقهم أمامه لامتلاكه أسلحة أكثر تطوراً، وبالتالي لا يرون أي جدوى من مقاومته، ولكنهم وجدوا قبته الحديدية لا تستطيع مقاومة صاروخ وصفوه بـ ”الطائش“ ومع هذا لن يثنيهم ذلك من المضي في أفكارهم الاستسلامية فهي جزء من شخصيتهم الانهزامية معدومة الكرامة، أما نحن فقد أكد الحادث على رؤيتنا وموقفنا الثابت من الصراع والقضية بأن المقاومة جدوى مستمرة وستبقى هي الأمل والطريق الوحيد للتحرير، وأن الحرب التي خاضتها سورية على مدار ما يقرب من عشر سنوات لم تحقق هدفها في إخراج سورية من معادلة المقاومة، بل إن صمود سورية في وجه المؤامرة وخوضها الحرب وسط خيانات الأخوة وتأمير الأعراب قد أتاح لها حرية القرار واستقلاليتها من دون أن تربطها أي حسابات مع دول داعمة للعدو الأول لها وللأمة العربية. نعم، دفعت سورية ثمن موقفها واستقلالها غالياً، وما تزال تدفع، ولكن ما كانت ستدفعه ثمناً لخضوعها أعلى بكثير.

وأتعجب كثيراً ممن كانوا – وما يزالون – يرددون النغمة ذاتها بأن سورية لم تحرر الجولان، وحين يصدر هذا الأمر من قوميين عرب فالأمر يحتاج لوقفة حقيقية، هل كل ما يهم هو تحرير الجولان ولتذهب باقي الأرض العربية إلى الجحيم؟ هل لو كان تحرير الجولان ثمناً للتخلي عن القدس ستكون سورية بذلك قد اختارت الطريق الصحيح؟ ألم يكن هذا ما عارضتم السادات عليه من قبل حين أخرج مصر من الصراع العربي-الصهيوني واختار سيناء (منزوعة السلاح والسيادة) وباع القدس؟ إن اعتبار العدو الصهيوني عدواً للأمة العربية كلها وأن مقاومته هي فرض على كل العرب وأن الجولان والقدس وغزة والضفة وحيفا ويافا كلها أرض عربية واحدة، لهو الموقف الأكثر عربوية من اعتبار الجولان قضية سورية فقط والقدس قضية فلسطينية فقط.

لم يكن الصاروخ السوري (الطائش) وحده هو الحدث الوحيد بل سبقته عدة حوادث ضد الكيان الصهيوني وراعيه الأمريكي حيث قامت إيران بالرد على قصف منشآتها النووية بضرب سفينة تابعة للكيان ومقر للموساد وكذلك قاعدة أمريكية بالعراق وهي رسالة شديدة اللهجة بأن محور المقاومة لا ولن يقف مكتوف الأيدي أمام أي اعتداء يطاله ولا يقيم أي اعتبار لتوازنات دولية تنتقص من إرادته واستقلاله وهي عين قوته وما يجعل الجميع يحسب له ألف حساب.

لا شك في أن هناك بعض التحفظات على بعض المواقف من جانب إيران والتي على رأسها وأهمها علاقتها بالإسلام السياسي وارتباطها به أيديولوجياً ظناً منها بأنهم حلفاؤها داخل الوطن العربي، وهو رهانٌ خاسرٌ أثبت فشله، فقد شكّلوا في سورية جيشاً ضد مصالحها ولكنها ما تزال تراهن عليه، إلا أن هذا لا يمنع من إقامة تحالف معها يسهم في الحد من رهانها على الإسلام السياسي وهو ما فعلته سورية، فبتحالفها مع إيران كانت إيران تحارب ممثلي الإسلام السياسي في سورية.

لا يمكن لأي دولة أن تضحي بأمنها القومي واستقلالها خوفاً من خوض الحروب، فتكلفة الحروب حين تكون ضرورية لا تمكن مقارنتها بتكلفة قرار عدم خوضها، ولنا في أزمة سد النهضة أوضح مثال، فهي مصر تقف الآن أمام مفترق طريق، مصر التي اختارت أن يكون التفاوض طريقها لحل أي نزاع وما يزال يحكمها مبدأ (حرب أكتوبر آخر الحروب) ليس أمامها سوى خيار القوة لتروع كل من تسول له نفسه العبث بأمنها القومي والمائي، ولا سبيل سوى القوة وإلا الفناء مصيرها، فحين يصل الوضع بأي أمة إلى (تكون أو لا تكون) فإن التردد لا يكون مجرد ضعف، بل خيانة.



العدد رقم (75) صدر في 1 أيار عام 2021 للميلاد

إن ما يحدث في الأمة العربية يؤكد أنه لا سبيل أمامها كي تضمن بقاءها سوى الوحدة، فالعدو الذي خطط لتدمير ليبيا وسورية واليمن والعراق ويسعى الآن لتعطيش مصر، هو عدو واحد ومصير الأمة العربية مصير واحد، حتى أدوات المساعدة على تدمير ما تبقى من الأمة هي الأدوات ذاتها: ممالك الخليج والإسلام السياسي، فالخليج الذي يستثمر في سد النهضة هو في الحقيقة يستثمر في هلاك مصر وعلى مصر أن تعيد النظر في تحالفاتها فلم يجلب لها سوء اختيار الحليف سوى طعنة غادرة وإن كانت متوقعة، فمن خانوا من قبل وسعوا في خراب الأمة على حساب عروشهم، لا يليق بمصر أن تتحالف معهم بل يليق بها أن تقود محوراً لمقاومة العدو التاريخي للأمة وأدواته المساعدة وقطع يد كل من تسول له نفسه العبث بأمنها وأمانها.

